الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي

ISSN : 2992-0566
Eissn :

مؤانسات

في اللغة والأدب والنقد

مجلة دولية فصلية محكمة

تصدر عن كليـــة الآداب واللغـــات
جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي

العدد 01
جوان 2023

الإيداع القانوني:

الرقم التسلسلي الدولي: **ISSN : 2992-0566**

مجلة مؤانسات في اللغة والأدب والنقد
مجلة سداسية دولية محكمة تصدر عن كلية الآداب واللغات
جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي – الجزائر
توجه جميع المراسلات والبحوث إلى عنوان المجلة الإلكتروني: **mouanassatte@univ-tebessa.dz**

شروط النشر

- يتم تقديم البحث في نسخة إلكترونية، يذكر فيها الباحث ما يلي: اسمه ولقبه ودرجته العلمية والمؤسّسة التي ينتمي إليها، والمدينة والدولة التي توجد بها المؤسسة التي يعمل بها.
- أن تكون البحوث موثقة من الناحية العلمية بالمراجع والمصادر، ويشير إليها الباحث في الهامش أسفل كل صفحة، على أن توضع في نهاية البحث مرتبة أبجديا.
- ألا يكون البحث مستلا من مذكرة ماستر أو ماجستير أو دكتوراه أو جزءا من كتاب سبق نشره.
- أن يقدم الباحث ملخصًا لموضوع البحث باللغتين العربية والانجليزية لا يزيد عن (200) كلمة في فقرتين مدعما بكلمات مفتاحية لا تقل عن 05 كلمات مترجمة.
- يرسل البحث عبر البريد الإلكتروني: mouanassatte@univ-tebessa.dz على برنامج معالج النصوص Word داخل قالب خاص.
- أن يكون البحث بخط Sakkal Majalla باللغة العربية و Times New Roman باللغة الأجنبية، ومقاس الصفحة (15-20 سم)، مع ترك هامش 2 سم من أسفل الصفحة وأعلاها، و2.5 من جهة اليمين و 2 من جهة اليسار، ومسافة 1 سم بين الأسطر، وتكون العناوين الرئيسية والفرعية بخط غليظ.
- أن يكون مقاس الخط 16 في المتن، و12 في الحاشية.
- ألا يقل البحث عن عشر (10)صفحات ولا يتجاوز ثلاثين (30) صفحة تتضمن المتن والهوامش وقائمة المصادر والمراجع.

- يتولّى تحكيم البحث محكّمان اثنان في الاختصاص، و في حال اختلافهما في رفض المقال أو قبوله يكلف بتقييمه محكم ثالث ضمانا للمصداقية المعرفية.
- يلتزم صاحبُ البحث بالتعديل إذا أقرّ أحد المحكمين نشرَه بشرط التعديل.
- يشترَط في البحث المقدّم للنشر ألا يكون قد نُشِر سابقا في مجلة أخرى مهما كان تصنيفها؛ وبناء عليه ـ في حال قبول النشر ـ يقدم الباحث تصريحا شرفيا بأن بحثه لم يقدم للنشر في أي مجلة أو مطبوعة أخرى، وأنه لن يقدمه لأي جهة أخرى حتى يتسلم إشعارًا من المجلة بقبول بحثه من عدمه.
- تعبر كافة البحوث المنشورة عن آراء أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

فهرس المحتويات	الصفحة
- كلمة العدد رئيس التحرير: د/ أحمد سعود	05
- التداوليات والنص الأدبي : بحث عن مداخل أ د/ رزيق بوزغاية . جامعة الشهيد العربي التبسي الجزائر	62-06
- النقد الأدبي البيئي من الفلسفة إلى الخطاب دراسة نظرية في الروافد والمنهجية أ/ عبير جودت عبدالحافظ . جامعة قطر	109-63
- الشخصية الروائية من الكائنية إلى العلامة أ/ عيسى بلخباط (ط/د) جامعة محمد خيضر بسكرة الجزائر	139-110
- اللغة الرقمية: إشكاليات الحفاظ وتداعيات الاستخدام أ د .الطيب جبايلي جامعة الشهيد العربي التبسي الجزائر د. كريمة عثماني جامعة محمد الشريف مساعدية الجزائر	163-140
- الاستعارات التصوريّة الأوليّة د لطفي الشيباني .كلية العلوم الإنسانية والاجتماعيّة- تونس	186-164

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

يطيب لنا أن نقدم لكم العدد الأول من مجلة مؤانسات في اللغة والأدب والنقد الصادرة عن كلية الآداب واللغات ـ جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي، راجين منها أن تكون لبنة تضاف إلى لبنات البحث العلمي في ميدان الدراسات اللغوية والأدبية والنقدية الأكاديمية، وأن تسهم في إثراء البحث العلمي، وأن تفتح البحوث المنشورة فيها آفاقا معرفية جديدة.

تستند مجلة مؤانسات إلى الجمع بين الأصالة والمعاصرة في طرح القضايا الفكرية واللغوية والأدبية والنقدية الجادة، في إطار حوار فكري حضاري إيجابي، ضمن مقاربات أكاديمية غايتها الارتقاء بالبحث العلمي، وتشجيع الكفاءات العلمية المتخصصة، وتحقيق رغبة الدارسين في الاستفادة المعرفية مما تنشره المجلة من أبحاث هادفة متميزة بالجدة والعمق.

ولتحقيق هذه الغاية من إنشاء المجلة فإننا ندعو كافة الباحثين إلى تفعيلها وتطويرها بإسهاماتهم العلمية، لتكون ميدانا وفضاء رحبا لتنوع الدراسات واختلاف الآراء وإثراء البحث العلمي وتطويره. ونتقدم بالشكر لكل من ساعد على صدور هذا العدد الذي نرجو أن يكون فاتحة وخطوة أولى من خطوات المجلة نحو تحقيق غايتها المنشودة.

رئيس التحرير: د. أحمد سعود

التداوليات والنص الأدبي : بحث عن مداخل

Pragmatics and litterer text: Search for entries

أ د. رزيق بوزغاية
مخبر الدراسات اللغوية والأدبية
والنقدية والمقاربات البينية
كلية الآداب واللغات
جامعة العربي التبسي
razikbouzeghaia@yahoo.fr

ملخص:

- تسعى هذه الدراسة لفحص إمكانات التقريب بين النظرية البرجماتية والنص الأدبي من خلال مناقشة مستخلصات التجارب السابقة في بعض الأبحاث الأكاديمية الفرنسية والإنجليزية في هذا الشأن. وقد عمدنا إلى اختيار نماذج أدبية شعرية وسردية من أجل توضيح البعد التداولي للظاهرة الأدبية، وقد أفضى هذا البحث إلى ضرورة إقامة إبدال معرفي يسمح بانتقال التداوليات وجهازها النظري والمفهومي لتصبح قابلة للتطبيق على المدونات الأدبية وذلك على عدة محاور أهمها : الكتابة والتجربة، والإحالة، والمعنى الضمني، والفعل الكلامي.
- **كلمات دالة:** التداوليات، الأدبية، النقل المعرفي، التجربة، الضمني.

Abstract:
This study aims to examine the possibilities of approximation between pragmatic theory and the literary text by discussing the extracts of previous experiences in some French and English academic papers in this regard. We have chosen poetic and narrative literary models in order to clarify the pragmatic dimension of the literary phenomenon, and this research has led to the need to establish a cognitive paradigm that allows the transfer of pragmatics and its theoretical and conceptual apparatus to become applicable to literary corpuses on several axes, the most important of which are: writing and experience, reference, implicit meaning , and acts of speech.
Key words: Pragmatics; Literality, epistemological paradigm, experience, speech act.

مقدمة:

إذا كان السؤال عن الدور الذي تضطلع به اللسانيات في مقاربة النص الأدبي سؤالا مشروعا من الناحية المعرفية، ومتداولا بشيء من الإسهاب في الدوائر العلمية، فإن السؤال الذي بقي مغيبا . على الرغم من ولوج التداوليات إلى الجامعات العربية منذ مدة غير يسيرة. هو عن مدى مناسبة هذه النظرية المعاصرة لتحليل النصوص الأدبية تحليل يضمن لتلك النصوص خصوصيتها الفنية. وعلى الرغم من كثرة المحاولات الإجرائية فيما يسمى عرفًا بالمقاربات التداولية إلا أن هذا السؤال المنهجي لم يلق من الاهتمام بين الدارسين ما يستحق إلا ما كان من محاولتي دومينيك مانغينو وجان ميشال غوفار في كتابيهما "تداولية من أجل الخطاب الأدبي" و"التداولية: أدوات للتحليل الأدبي" على التوالي،

وبعض الإشارات التي قدمها جون سيرل وعرضها فيليب بلانشية في كتابه "التداولية من أوستن إلى غوفمان". بناء عليه نتوجه بالمساءلة نحو الأصول المعرفية للتداولية ومكوناتها المنهجية فيما يمكن أن تقدمه من تحليل للعمل الإبداعي، أو فيما يمكن أن تقدمه من تفسير لظاهرة الأدبية، مفترضين في سبيل البحث عدة مداخل تلج من خلالها هذه النظرية ساحة النقد الأدبي، منها الإحالة والدلالة الضمنية وأفعال الكلام، غير أنها ستكون مداخل غير ذات قيمة في الفكر التداولي إذا خلت من تحليل العلاقة بين العلامة ومؤولها.

1 . التداولية و الاستعمال:

لماذا ينبغي أن يدور السؤال غالبا في الدوائر اللغوية والأدبية اليوم حول التداولية والنص الأدبي؟ لعل الأسباب الداعية لطرح هذا الإشكال واضحة للعيان فيما إذا اطلعنا على الظروف التي نشأت فيها النظرية التداولية وتمرسنا ولو قليلا خصوصيات النص الأدبي. فمن جهة يقف المنهج التداولي منهجا لتحليل الخطاب التواصلي، الخطاب اليومي المنغمس في مقامات اجتماعية يومية، يستحيل من دونها تفسير نصية النصوص ويستحيل تأويلها أيضا. ومن الجهة الأخرى يقف النص الأدبي متمنعا أو شبه متمنع عن المقامات المحصورة والمواقف البسيطة للتأليف، لأن حكم التأليف أن يكتب للنص الأدبي أعمارا جديدا تنقله إلى أكبر عدد ممكن من القراء، يختلفون مع الكاتب في مقامات

التواصل، ولذلك كانت النصوص الأدبية أقل النصوص انفتاحا على عناصر الاستعمال.

إن تطويع المنهج التداولي وتقريبه من النص الأدبي ليس أمرا ميسورا، غير أننا نرى أن البحث في الأصول المعرفية للتداولية قد يسمح بتوفير مداخل مناسبة لهكذا تطويع، وما اشتغال بعض الدارسين على هذا المحور في الدوائر العلمية الفرنسية. على ما سيأتي ذكره . إلا دليل على إمكانات التحليل التي يقترحها هذا المنهج إزاء الإبداعات الفنية، وسيكون نجاح هذا التقريب مرهونا بقدر ما تمكنت التداولية من تفسير الظاهرة الأدبية.

1 . 1 . في تعريف التداولية وأبعادها النظرية والمنهجية:

أشهر تعريفات اللسانيات التداولية تعريف روبير دي بوغراند بأنها دراسة اللغة في الاستعمال[1]، ولا مناص للمرء وهو يستحضر هذا التعريف المختصر والمقتبس عن شارل وليام موريس أنه تعريف خاص باللسانيات، وأن التداولية في عمومها تدرس كل أنماط العلامات في إطار استعمالها.

ولكي يزداد المرء وعيا بهذا التعريف المقتضب لا مناص له أيضا من أن يبحث في أبعاده النظرية والمنهجية، لأن سؤال النظرية والمنهج سؤال معرفي عليه قوام العلوم جميعها، ولما كان مؤسسو المذهب البرجماتي قد أقروا له بكونه علما قائما بذاته وفرعا مستقلا عن

السيمياء، كان لزاما أن يتناول المنظرون له والدارسون بعدهم مقتضيات دراسة اللغة في الاستعمال، ولكي نلخص المقتضيات في سؤال آخر يمكن أن نقول: كيف تُدرس اللغة في الاستعمال؟

على الرغم من كثرة الدراسات التداولية التطبيقية، إلا أن تسميتها بهذا الاسم يحتاج في كثير من الأحيان إعادة النظر، والسبب هو أن السؤال المعرفي الذي نقترحه هنا لم ينل حقه من الاهتمام، وإلا فما معنى أن نسمي دراستنا للنصوص الأدبية دراسة تداولية؟ وهل يكفي أن نتناول موضوعا من الموضوعات التي قيل بأنها قضايا برجماتية حتى يكون البحث الذي نقيمه بحثا تداوليا؟

إن الغرض من هذا السؤال غرض إنكاري، والمراد منه أن نبين ما للمقاربة التداولية من مستلزمات منهجية. فدراسة اللغة في الاستعمال، أو العلامة عموما، تستتبع في نظرنا منحيين: الأول أن الدراسة يجب أن تأخذ في الحسبان عناصر الاستعمال في تحليل الظاهرة اللغوية، كالمتكلم والمخاطب والمقام. والثاني . وهو ما جرى تهميشه على الرغم من كونه جوهر البرجماتية في مهادها الفلسفي . أن الدراسة يجب أن تتابع العلامة في النصوص على أنها تاريخ اكتساب معرفي[2]، وأن توظيفها في التواصل إنما ينبني على تجربة المستعمل معها، وهذا المنحى الثاني هو المؤشر القادر على تفسير استعمال الأفراد والجماعات للعلامة بطريقة خاصة وفقا لظروف خاصة.

على أن الكلام على سياقات الاستعمال مرتبط في أذهان الدارسين من اللغويين والنقاد بمجالات بحثية قديمة قد يتصور الملاحظ عدم ملاءمتها لتحليل النصوص الأدبية المعاصرة كالبلاغة القديمة والنظرية السياقية والوظيفية[3]، لأنها من جهة لا تجاري روح الإبداع في هذا العصر ، ومن جهة أخرى قد تشتغل على ظواهر لغوية وتواصلية تغطي على جمالية النص أو تهمشها. وعليه فإن كل مقاربة تداولية مأمولة يتوسم فيها قدر من الوصفية تتجافى به عن المناهج المعيارية، كما يتوسم فيها قدر من الشمولية تتجاوز به حدود النظرية السياقية التي عرفتها اللسانيات بداية القرن العشرين.

1. 2 . في معنى "البرجماتية":

يمكن أن نفضي إذن إلى أن الموضوع الرئيس للتداولية هو المحادثة من حيث هي تجسيد لحقيقة الاستعمال والتواصل، وأنه تتفرع عن هذا الموضوع قضايا فرعية تناولتها الدراسات التداولية بطرق متشعبة كالمعنى الضمني، والإحالة إلى المقام، وأفعال الكلام، والحجاج. ولا بد من التأكيد على أن أفعال الكلام، التي يعدها كثير من الدارسين جوهر التداوليات، ليست إلا مظهرا من مظاهر للمحادثة أو التواصل، هذا هو الاعتبار الوحيد الذي يدخلها في إطار النظرية التداولية، أما دراستها من حيث أنها علامة على برجماتية اللغة فإن هذا ينطوي على عدم قدرتنا على التمييز بين البرجماتية بما هي نظرية في تفسير المعرفة

والتصرف بها، وبين الذرائعية والنفعية بما هما فلسفتان قريبتان من مجال الدرس البرجماتي. ويمكن تمثيل العلائق بين المحادثة وبين القضايا التي اهتمت بها الدراسات التداولية كالتالي:

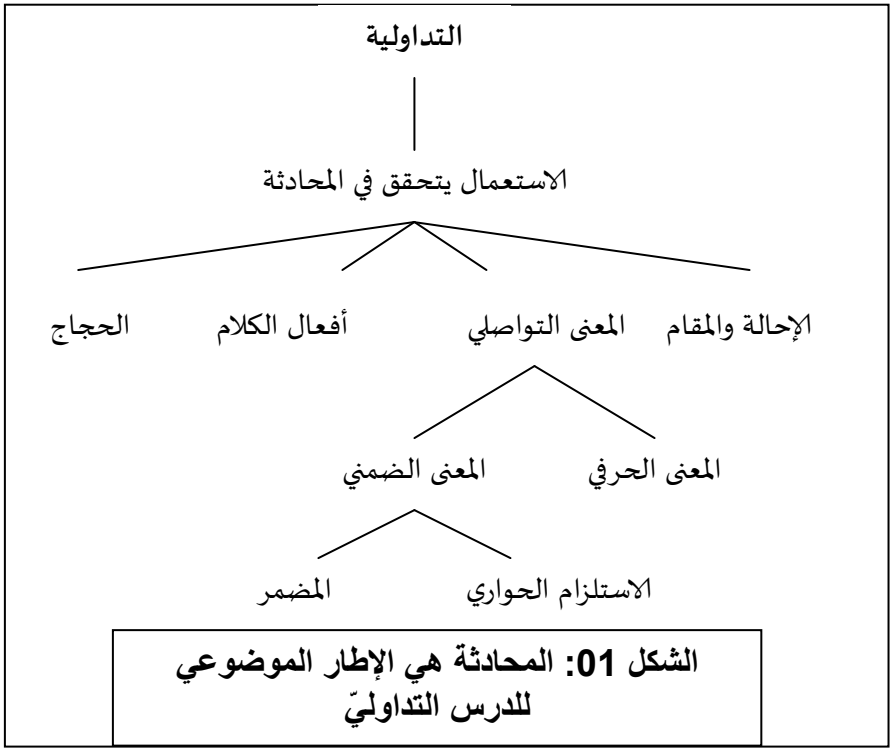

الشكل 01: المحادثة هي الإطار الموضوعي للدرس التداوليّ

هذا التمثيل ليس شائعا بين الدارسين، ولكنه محاولة لجمع شتات الدرس التداوليّ، وفق نظريته الأساسية عند بيرس وموريس، ذلك أن تحليل العلاقة بين العلامة والمستعمل تقتضي دراسة النص في

إطار عناصر الاستعمال، وهو لا يخرج في ذلك عن إطار المحادثة المتحققة فعليا، ومن هذا الإطار الموحد والثابت للتواصل تنبثق تلك الاهتمامات والقضايا المختلفة التي اهتم بها الدارسون في مجال التداولية. ففي المحادثة بين أطراف التواصل تظهر الإحالة إلى المقام، كما يظهر المعنى التواصلي باختلاف درجاته، وتظهر في أشكال المحادثة المختلفة أفعال الكلام الخبرية والإنشائية، والحجاج هو شكل من أشكال المحادثة أيضا، ولا مناص لنا من هذا الاعتبار حتى نتمكن فعلا من حصر مجال البحث التداولي في بناء معرفي منظم قوامه دراسة ظاهرة المحادثة، وأما ما تقدم من كلام منقول عن اعتبار المحادثة خارج إطار اللسانيات التداولية فيعود إلى عامل سنذكره فيما يأتي.

ذكرت فرنسواز أرمينغو في مقدمة كتابها "التداولية" أن هناك نوعين من الدراسات التداولية: «إنا نجد اعتبارات تداولية عند نوعين من المفكرين: الأول يمثله أولئك الذي يهتمون بتحديد حقيقة الجمل، والذين يستهدفون . من خلال التركيز على لغة الحديث اليومي وعلى عبارات ما نسميه لغة طبيعية . عقبات من مثل حضور "أنا" أو "أنت"، والتي يجب تعيينها من أجل تحديد المعنى. فهم يوجهون اهتماماهم إلى الدور المنوط بسياق تداول العبارات في بلورة المحتوى الدلالي. إنهم على درجات متفاوتة فلاسفة المنطق (فريجه، روسل، كارناب، بار هيلال، كوين).

إنهم يتناولون البعد البرجماتي "dimension pragmatique"، وهذا يعني أخذ المتواصلين والسياق بعين الاعتبار... والثاني تمثله دراسات

تداولية مجاورة تظهر عند دارسين اهتموا بآثار الخطاب على المتواصلين (برلمان، ديكرو، بورديو، كيربرات)»[4].

وقد أحسنت أرمينغو بالتمييز بين هذين الاتجاهين، وهو ما نعتقده فعلا في حقيقة الإجراء البرجماتي في اللسانيات، حيث لا بد من التمييز بين ما نسميه لسانيات تداولية تدرس اللغة في إطار الاستعمال، وهو ما يمثله الاتجاه الأول عندها، وبين ما ندعوه تداولية الخطاب وهو يتعلق بالآثار العملية للخطاب في التواصل. ولا شك أن في المجالين اعتبار تداولي، لكنه في الأول اعتبار في منهج الدراسة ولهذا تعتبر الدراسة حينذاك دراسة تداولية، أما في الثاني فهو اعتبار في الظاهرة المدروسة وهو الخطاب. ويمكن تمييز هذين الاتجاهين كما يلي:[5]

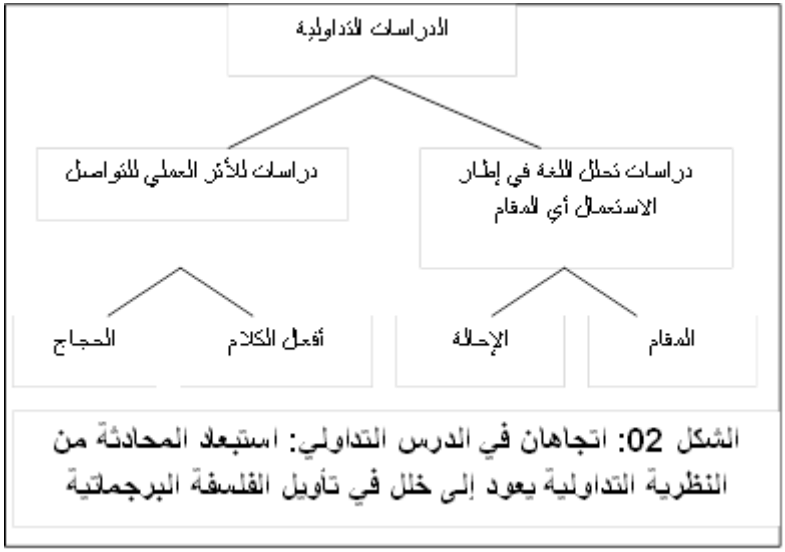

الشكل 02: اتجاهان في الدرس التداولي: استبعاد المحادثة من النظرية التداولية يعود إلى خلل في تأويل الفلسفة البرجماتية

وعلى الرغم من أن الدارسين يعتبرون المنحى الثاني أقرب الاتجاهين إلى البرجماتية بمن فيهم فرنسواز أرمينغو إلا أننا نعتقد العكس، لأن البرجماتية فلسفة في التفكير في الظواهر لا حقيقة في الظواهر نفسها، إننا . في الدراسة التداولية . ننظر بطريقة برجماتية في الأشياء والموضوعات على الرغم من اختلاف خصائصها، وما النظر في الحجاج وأفعال الكلام وغيرها من آثار الخطاب إلا حاصل التفسير البرجماتي للغة. وعليه فإن نظرتنا إلى الحجاج وأفعال الكلام إنما تنضوي في إطار اللسانيات التداولية على اعتبار واحد وهي أنها قضايا تتعلق بالتواصل الفعلي بين الناس، لا أن هذه القضايا تمثل أثرا عمليا للغة. أزمة المصطلح البرجماتي متولدة من تداخله مع مفاهيم قريبة منه كالنفعية، وشيوع استعماله بين العامة من الناس اليوم لهذا المعنى الثاني دون دلالته الاصطلاحية، فمجرد أن يرد مصطلح "برجماتي" تتوارد إلى ذهن المستعملين معاني المردود المادي للتصرف. قد لا ينفي المعنى الأصلي للبرجماتية في اللغة الإغريقية دلالات العمل والتطبيق الفعلي، ولكن حاصل ورود هذا المصطلح في الفلسفة الحديثة قبل أن تتوارد عليه التأويلات المتشعبة هي تفسير التصرف الحاضر وفقا للمقام وبناء على التجربة السابقة.

1 . 3 . متطلبات المقاربة التداولية :

تحتاج المقاربات التداولية . على كثرتها وتنوعها واختلاف مدوناتها . إلى نوع من المقاربة المعرفية الإبستيمية، إذ لا يمكن أن يستغني البحث العلمي في مجال الإنسانيات واللسانيات عن المراجعات الفكرية والفلسفية بغاية تطوير مناهجها وتنقية كفاءة نظرياتها التوصيفية. ولا يمكن أن نؤسس شكلا مأمولا للمقاربة العلمية إلا من خلال فحص تجاربنا السابقة في المجال ذاته، على ضوء ما تفرزه الظواهر اللغوية والإنسانية من مستجدات. ولعلنا قبل أن نعرض نماذج للتحليل التداولي نناقش مسائل نظرية ومنهجية نراها مهمة في تقدمة المقاربات، لأن كثيرا من الدراسات اللغوية والفلسفية اليوم تتسمى بالتداولية وهي ليست في حقيقة الأمر كذلك، لأسباب تعود من جهة إلى البيئة الثقافية التي تنشأ فيها هذه الدراسات، يضاف إليها تفرعات عرفتها المباحث التداولية في كثير من الدوائر المعرفية قبل أن تصل إلى جامعاتنا العربية. ومع أن الإبستيمولوجيا تحفظ للعلوم والنظريات حق التطور، إلا أنها بالمقابل لا تعدُّ تطورها مسلمةً تذعن لها العقول، إذا كان ذلك التطور ناشئا عن سوء تأويل أو خطأ تقدير من قبل الدارسين.

تعتمد الدراسة التداولية على مجموعة من المعطيات ومجموعة من الإجراءات، والمعطيات الضرورية لكل بحث تداولي على ثلاثة أنواع: النص، والمقام، والمستعمل. والمستعمل المقصود هنا ليس عنصرا من المقام كما

نعهده، بل هو مكون مستقل نسبيا لأنه قد يشير إلى حياة المؤلف السابقة على النص. كما أن النص والمقام أمران مختلفان وإن كانا متلازمين، فكل قيمة أو معرفة تستقى من النص لا تعد معرفة مقامية، بل لا بد من توفر معرفة خاصة بالمقام لا يتوفر عليها النص وإن كان يحيل إليها أو يعتمد عليها. أما الإجراءات فهي على النحو التالي:

أولا: وصف النص من حيث هو منطلق الدراسة.

ثانيا: وصف علاقة النص بالمقام وتفسير تشكل النص وفقا لمعطيات الموقف.

ثالثا: تفسير التماسك التداولي بين النص والمقام في ضوء معرفة الباحث بتاريخ العلامة عند مستعملها، والذي قد يكون منتج النص في الحالة الأصلية، وقد يكون قارئ النص في حال انصبّ البحث على مدونات نقدية مثلا.

وليست تعني هذا الخطوات إعادة إنتاج نموذج لما يعرف عادة في ساحة البحث النقدي بالمناهج السياقية على ما في هذه التسمية من أخطاء معرفية، ثمة تفصيلات كثيرة تميز المقاربة التداولية عما سبقها من تجارب نقدية استندت إلى خلفيات المناهج النفسانية والاجتماعية في دراسة النصوص الأدبية. ولعل المقام هنا يتسع لذكر بعض الجوانب التي يفرق بها البحث التداولي عن نظرائه:

الأول: أن التداوليات متحررة بقدر كبير من نماذج مطردة للتحليل، فهي لا تنطلق من خلفيات معرفية خاصة تحاول فرضها على النص، ولا يمكن أن يكون النص مجرد ساحة لإثبات قدرات التحليل النفساني والأمراض العقلية والنظريات التاريخية والاجتماعية الجاهزة.

الثاني: أن التداوليات تنطلق من النص لتبحث في مستويي التوصيف اللغوي والمقامي، والتفسير التجريبي في ضوء تاريخ العلامات عند المستعمل، ولا يمكن أن تمتد يد التحليل التداولي لأبعد مما تسمح به المعلومات المتوافرة عن الظاهرة التواصلية.

الثالث: أنّ التداوليات لا تنفي دور القارئ، ولا تنفي الملكات الذهني وقدرتها على تجاوز التجارب السلوكية، ولذلك تسعى اللسانيات المدمجة لأن تستفيد قدر الإمكان من مكتسبات الدرس اللغوي بجوانبه المتعددة تاريخية وبنيوية وتداولية وعرفانية.

وقبل أن نناقش هذه المسألة بما تيسر من تفصيلات يمكن أن نقدم للحديث عنها بالقول أن البرجماتية، وعلى الرغم من كونها تتوجه نحو دراسة اللغة العادية في الاستعمال اليومي، إلا أنه يمكن تطويع آلياتها لدراسة استعمالات خاصة للغة، وعلى ما يبدو فليس هناك ما يمنع من عد الأدب نوعا من أنواع

الاستعمال، ولكن استحضار الآليات التداولية في دراسته في أغلب المقاربات التي رأيناها مبثوثة في المقالات والمؤلفات تغفل عن حقيقة أن أدبية الأدب رديفة لخصيصة النصية، وأن تحليل النص الأدبي بعيدا عن كونه نصا وجنسا فنيّا يذهب بجدوى الدراسة .

إن تطويع المنهج التداولي وتقريبه من النص الأدبي ليس أمرا ميسورا، غير أننا نرى أن البحث في أصول التداولية من الناحية المعرفية قد يسمح بتوفير مداخل مناسبة لهكذا تطويع، وما اشتغال بعض الدارسين على هذا المحور في الدوائر العلمية الفرنسية إلا دليل على الإمكانات المنهجية التي يقترحها هذا المنهج إزاء الإبداعات الفنية والجمالية. وسيكون التقريب ناجحا بقدر ما تمكنت التداولية من تفسير الظاهرة الأدبية.

2 . . اللغة العادية وإجراءات التحليل التداولي:

قد لا يتساءل شباب اليوم والأجيال الجديدة من أبناء الوطن عن سر تسميتنا للأشياء في الوقت الراهن بغير أسمائها، بل الشائع بينهم تبني تلك التسميات بالنظر إلى تداولها بين أفراد المجتمع على نطاق واسع، ففي الأسواق الجزائرية مثلا يشيع بيننا اليوم تسمية مسحوق الحليب مهما كان نوعه باسم "لحظة"، كما نتداول تسمية المياه المعدنية باسم "سعيدة"، والزيت النباتي باسم "صانغو"، ومسحوق غسيل الثياب باسم "أومو"، مع أن هذه التسميات الشائعة هي في الحقيقة موضوعة لـ "ماركة" خاصة من بين

"ماركات" كثيرة متوفرة في أسواق اليوم. يدخل الزبون إلى المحل ويشير إلى مسحوق الحليب من نوع "غلوريا" قائلا للبائع: "علبة لحظة من فضلك!!"

تسعى المقاربة التداولية إلى الإجابة عن إشكالين في هذا المثال: كيف يجري استعمال العلامة اللغوية "لحظة" في سياقات موقفية محددة؟ وكيف يمكن تفسير هذا الاستعمال في ضوء الخبرة؟ لا يخفى علينا أن السؤال الأول يعتمد على وصف الاستعمال الحاضر في ذاته بالنظر إلى مكونات الملفوظ والمقام، كما يعتمد الثاني على تفسير العملية التواصلية من حيث هي نتاج خبرة ما اصطنعت الرموز والدلالات ومهدت لإنتاج ملفوظ محدد في مقام محدد، وليس السؤال الثاني إلا محصلة تعريف موريس للتداولية على أنها "دراسة العلاقة بين العلامة ومستعملها".

البرجماتية في نشأتها الأولى عند بيرس هي نظرية في المعرفة والأخلاق، والغرض من دراسة الأخلاق هو دراسة سلوك الأفراد وفقا للمواقف، ويعتبر رواد البرجماتية ممارسة اللغة في الكلام تصرفا كبقية تصرفات الإنسان الأخرى العاطفية والعملية. ويظهر الجانب الأخلاقي من هذه المسألة في كون الإنسان يتصرف وفقا لقوانين جمعية اكتسبها بالدربة موظفا إياها حسب الظروف، والظرف الذي يحيط عملية التصرف في نظر بيرس هو نفسه نابع من التجربة، لأن الفرد يتعامل مع المواقف بحسب سابق معرفته بها، ولذلك نرى الناس في المجتمع يستحسنون تصرفا ما في موقف محدد ويرفضون

ذات التصرف في موقف مغاير، وهذه العملية تشبه إعادة استنساخ السلوك والموقف معا.

وإذا ما نظرنا إلى النص بوصفه سلوكا أمكن أن نتعامل معه تعملا برجماتيا من جهة مناسبة هذا السلوك للمواقف التواصلية، تماما كما قيل عن البلاغة بأنها «مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته»[6] غير أنّ هذا السلوك اللغوي الذي يسمى "بلاغة" لا يجد له تفسيرا إلا في ضوء التجربة، لأن غاية البحث البرجماتي ليس الحكم على الكلام بكونه بليغا أو غير بليغ، بل غايته العلمية تفسير تشكل النص وفقا لمقام معين، بناء على تجربة المتكلم وخبرته.

أليس يختلف الناس في استجابتهم للمواقف التواصلية بطرق مختلفة؟ وينتجون خطابات مختلفة في الموقف الواحد؟ يعود الاختلاف بينهم، مع اتفاقهم في المقام والموقف، إلى اختلاف تجاربهم، وهذا العامل هو المؤشر الأساس في البرجماتية، والذي لا يجد له ، إلى اليوم، دورا فعليا في التحليل التداولي للنصوص.

3 . ضوابط النقل المعرفي من اللسانيات إلى الدرس الأدبي:

من أجل استنهاض آليات تداولية مفيدة للدراسة الأدبية لا بد من أن تلامس تلك الآليات الجانبين المحورين في كل عمل أدبي وهما النصية والأدبية معا. وعلى الرغم من أهمية هذين المحورين الذي عليهما مدار ما

نسميه أدبا إلا أن الإجراءات والمقاربات النقدية لم تتنبه إليهما إلا لماما، وكثيرا ما يسرع الدارسون إلى إلباس النقد الأدبي لبوس البرجماتية ويحملونه على القصة أو القصيدة من دون اعتبار للمتطلبات الفنية، وعلى هذا يجدر بالباحث أن ينوه على ضرورة إرساء إبدال معرفي يمهد لولوج النظرية السيميائية التداولية للدرس الأدبي. وهذا التحويل على صعوبته مطالب بأن يجمع بين استغراق النصية . لأن الأدب يظهر في النصوص . وبين استغراق الأدبية . لأن اللغة الأدبية لغة جمالية غير مألوفة . .

3 . 1 . النص من المنظور التداولي: النص والتواصل

لقد أوردنا في "كتاب التداوليات" شيئا من الكلام على العلاقة بين الأدب والنص، من حيث هو ضروري لكل نظرية تدرس الأدب أن تتناول ظاهرة النصية أيضا، فليس من مصلحة الدرس الأدبي في شيء أن يفصل بين مقاربته لمفهومي الأدبية والنصية. ولأن في ذلك الكلام فائدة لموضوع هذا المقال نرى من اللازم إيراده هنا لعله يساعدنا على بحث الموضوع.

على الرغم من التلازم التاريخي بين ما يسمى أدبا وبين تجسد هذا الأدب في النصوص، إلا أن تعريفنا للأدب لم يدرك الترابط الوثيق بين مفهومي الأدبية والنصية، ولعل من أسباب ذلك تأخر ظهور علم لغة النص إلى وقت قريب[7]

. ومن نافلة القول تبيانُ أن كل حديث على الأدب مقرون بالحديث على نصوص لغوية، ومن لطائف البحث السيميائي عند ميكائيل ريفاتير أنه أشار إلى هذه المسألة إشارة واضحة بعد صدور مقال زليغ هاريس المعنون بـ "تحليل الخطاب"، وقد ضمَّن ريفاتير هذه الرؤية كتابه "سيمياء الشعر" ممهدا ببحث موسوم بـ "إدلال القصيدة".

والمميز في هذا التمهيد أنه يرى التحليل السيميائي تحليلا للظاهرة النصية بطريقة غير مباشرة: « يبدو لي أن الشعر لا ينفصل عن مفهوم النص بشكل غريب»[8]، والسيمياء هي بالنسبة للتداوليات العلم الأم، ولما كان الفرع البراغماتي من السيمياء مخصوصا بدراسة العلاقة بين العلامة والمستعملين لها، فإنه لا بد مدعو إلى اعتبار النص في ذاته علامة كبرى، ولهذه العلامة الكبرى وشائج تربطها بعناصر المقام أثناء الإنتاج وأثناء التأويل.

يقول شوقي ضيف: «والأدب . كما هو ذائع مشهور . يقصد به إثارة الانفعالات في قلوب القراء والسامعين، ولذلك كان يعتمد على الخيال،يعتمد عليه في التركيب الكلي لآثاره على نحو ما يلاحظ في تكوين العمل الروائي وخلق شخوصه وما يجري على ألسنتهم من أقوال وعلى أيديهم من أفعال، كما يعتمد عليه في عناصره الجزئية ووحداته المفردة، على نحو ما يلاحظ في لغته التصويرية وما يتداخل فيها من التشبيه والمجاز والكناية والاستعارة»[9]. وقد نلتمس في مقولة شوقي ضيف . وهو يقارب مفهوم الأدب بكل حذر. ما

نثبت به من جهة الفكرة التي صدرنا بها هذه المرحلة من البحث والتي تربط ربطا تلازميا بين مفهوم الأدب وبين النص، وما ندفع به من جهة أخرى أحد عوامل تهميش جوناثان كالر لمفهوم الأدب في النظرية الأدبية.

يرى كالر أن النظرية ليست مطالبة بدراسة مفهوم الأدب لسببين: أن الموضوعات التي يدرسها علم الأدب تقبع في النصوص الأدبية وغير الأدبية، ولذلك فإن دارس الأدب يمكنه أن يبحث ظاهرة من الظواهر من دون أن يلتفت كثيرا إلى مفهوم الأدب في ذاته. والثاني أن الظواهر الأدبية يمكن أن توجد في النصوص الأدبية وغير الأدبية[10]. وسيلحظ المتأمل أن السببين هما وجهان لعملة واحدة، وهما مع ذلك ينطويان على مغالطة مزدوجة: وجهها الأول أن الدراسة الأدبية لا تختص بدراسة الموضوعات بل بدراسة الأدب، ولذلك فهي مطالبة بالتمييز بين ما هو أدبي وما هو غير أدبي، والوجه الثاني أن الفرق بين الأدب والأدبية يكمن في أن الأول إنما هو السمة الغالبة على النصوص، أما الأدبية فقد توجد في جملة أو جمل من نص مطول قد لا يعد نصا أدبيا.

إن مثل هذه الملحوظات هي ما يؤكد افتراضنا أن الأدب هو نص أولا، وأن الدرس العلمي لهذه الظاهرة يجب أن ينطلق من وصف نصي، أو أن يحقق نموذجا للوصف النصي. ويزيد هذا المبحث عمقا العودة إلى نظرية الأنواع الأدبية، لأن قوامها هو النص، فالنوع الأدبي سواء كان شعرا أو سردا

إنما هو اسم لنص، وعلى ذلك درجت المصطلحات النقدية مثل القصيدة والقصة والرواية والمسرحية وغيرها،.. فهي نصوص في المقام الأول. وعليه فإن تنبهنا على ضرورة أن تقترح المقاربات الأدبية تفسيرا للظاهرة النصية إنما هو ضرورة معرفية ومنطقية وتاريخية في آن واحد.

وعليه يظهر الفرق بين أن تختزل الأدبية في جزء من النص وبين أن تستغرق مجموعه، لأنها في الحالة الأولى لا تمثل كلية العمل الأدبي، بل تمثل ما يسميه علماء لسانيات النص "نصا مصغرا" "micro texte". والذي عليه مدار البحث هنا هو: كيف توصف التداولية الكيان النصيّ؟

يظهر أن مفهوم كلمة "النص" مفهوم ثقافي، فهذه الكلمة في الثقافة العربية لا تعني إلا الكلام الصريح البين الذي لا يحتاج تأويلا[11]، لكن كلمة "texte" في اللغات اللاتينية لها دلالة محورية على البناء[12]، فهاهنا معنيان مختلفان، وإذا ما ورد ذكر المصطلح العربي "نص" في إحدى الدراسات اللسانية المعاصرة فإن المقصود به غالبا مقابلة المصطلح اللاتيني ودلالته عندئذ هي الدلالة على نسيج الخطاب، أما إذا ما ورد المصطلح العربي في إحدى الدراسات الشرعية فإن مداره غالبا على القرآن الكريم والسنة النبوية.

على هذا الأساس يمكن القول إن معنى "النص" في اللسانيات الحديثة هو بناء الخطاب ونسقه بغض النظر عن كونه واضح المعنى، أما الخطاب

فهو توجيه هذا النسق. لكن النص . وفقا لرؤيته الحديثة في التداولية . لا يدل بذاته على الغرض إلا إذا تفاعل بطريقة ناجحة مع المكون الثقافي[13]، لأن النسق اللغوي، الذي هو النص، إنما يدل بناء على تضافره مع الموقف والمؤولين. إن المقترح النصي في التداولية هو انفتاح النسق على المؤوّل بالدرجة الأولى، فتفسير الظاهرة النصية في البرجماتية يشتغل على المحور الثقافي ، بتعبير هاريس، والذي يربط بين العلامة ومؤولها، سواء أكان المؤول منتج النص أو حامله أو قارئه ، والذي نمثل له بالمخطط التالي:

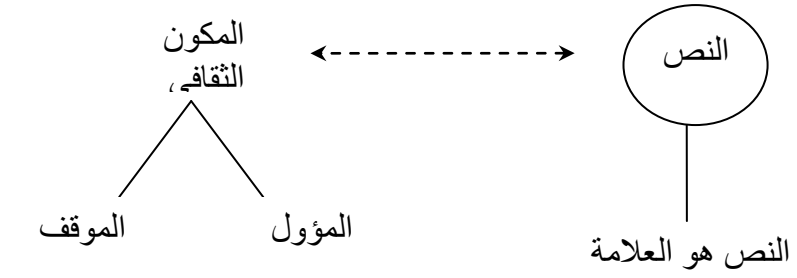

الشكل 03 : لا تجد النصية تأويلها في النظرة التداولية إلا في تفاعل النص مع المؤول والموقف

ولننظر الآن في عناصر هذا المخطط والذي يفترض به أن يمثل رؤية التداولية للظاهرة النصية. فمن جهة لا تهمل التداولية عنصر النسق مطلقا، ولا تتجاوز مفهومه البنيوي في العلامة، فلا يكون النص نصا إلا إذا كان علامة ، أي نسق علامات صغرى تتآلف معا وفق اتساق وانسجام يفرضهما النظام اللغوي المتواصل به. لكن دلالة العلامة الكبرى ليست مكتملة في كل أحوالها[14] ، ومعناها ليس حاصل تفاعل مكوناتها الداخلية فقط، بل إن الناتج من ذلك النسق يتأثر بعد ذلك أو خلاله بمعطيات الموقف التواصلي، كما يتأثر بالمؤول نفسه.

والحاصل من هذا أن النسق الذي عليه مدار بناء النص الأدبي نسق خاص غير مألوف، وأن تفسير نصيته لا يعتمد على مجرد مكوناته الداخلية، بل على اعتباره كيانا ثقافيا يجد تأويله كنص في موقف الأفراد المؤولين، ومعيار ذلك أنك تجد الأمم تختلف فيما بينها في بناء النصوص الأدبية على الرغم مما بينها من قواسم مشتركة. ولا شك في أن ذلك الاختلاف يعود إلى اختلافهم أصلا في الأطر التواصلية.

بل إن الأمة الواحدة تختلف أجيالها في تشكيل نسق النص الأدبي، ولذلك تنظر التداولية إلى تطور النص الأدبي عند الأمة الواحدة على أنه ظاهرة برجماتية. لكن تحليل هذه الظاهرة لا يكون برجماتيا إلا إذا جرى ربط

الظاهرة النصية بسياقها الثقافي أولا ، وبمؤوليها ثانيا. ويمكن أن نلخص أهم محاولات الربط بين التحليل التداولي والظاهرة النصية فيما يلي:

في سياق محاولة فريدة من نوعها في هذا السياق تقول مارلين راندال : «على عكس النظرية الأدبية، تعتبر النظرية التداولية أن السياق لا يسبق الخطاب بل يرافقه، سواء أكان مبنيا أو معاد البناء في الفعل التواصلي أو بوساطته[15]. في محاولة الربط بين ظاهرة عدم الانسجام في النص وبين طبيعة المستعمل، هذه الظاهرة ، فغياب الانسجام ناجم عن ارتياب الكندي الفرنسي ، ففي سياق اجتماعي وتاريخي وثقافي لا يوائمه. وهذه اللاانسجام هو عرض لصراع : إذا قاومت فهذا بفضل مجهودات الحفاظ على الخصوصية الكيبيكية في رحم نظام مسيطر يسعى إلى المماثلة، إلى التخلص من اللانسجام»[16]. ولعل هذا المثال يعكس بحق رغبة دومينيك مانغينو في تطويع التداولية لدراسة النص الأدبي من خلال المدخل العام الذي صاغة ميخائيل باختين والذي يعد النص الأدبي نوعا من أنواع الخطاب التي تفرزه الأنماط الاجتماعية.

وعلى هذا الأساس فإن النص الأدبي لا يمكن أن يؤخذ في نظر القارئ إلا في إطار نموذجه التواصلي على أنه كائن أدبي، وهو ذاته إطاره الاستعمالي، واندراجه ضمن نوع أدبي خاص هو نوع من أنواع المقام الاستعمالي الذي اكتسب نمطه الخاص في إطار الاستعمال التواصلي في المجتمع. ولذلك فإن

النظم الاجتماعية هي الكفيلة بتحديد آليات بناء النص ذاته وفقا لمقامات الاستعمال، بل إن التشكيل النصي في الخطاب الأدبي ناتج عن تجربة خاصة للبيئة أو المجتمع أو الأمة، أو حتى لفئة خاصة منها.

ولعلّنا نلخص ذلك التلاقي بين النظرية التداولية وبين الظاهرة النصية في بعدين متضافرين: الأول في تفسير الظواهر النصية تفسيرا برجماتيا، كتفسير تشكل الانسجام مثلا بناء على معطيات تجريبية، والثاني في قدرة البرجماتية نفسها على تقديم تعريف مختلف ومتميز للنص، لا بكونه نسقا مستقلا بل بكونه خطابا مرتبطا في كينونته بالمستعمل أو مجموع المؤولين.

3 . 2 . الأدبية من منظور تداولي:

من المؤسف أن نرى كثيرا من الأسئلة الإجرائية التي تسرع إلى إسقاط التداولية على النصوص الأدبية من دون تطويع خاص، ولا شك أن هذا التسرع له ما يفسره من رغبة الباحثين إلى توظيف النظريات الحديثة في دراسة اللغة، ولكنه ليس تفسيرا قادرا على تبرير تقصيرنا في التطويع المعرفي أو الإبدال الذي يرجى إجراؤه على النظرية أو المنهج لتناسب مدونة البحث. ولذلك فإن كل عمل على هذا المستوى لا يسعى لإقامة مثل هذا التطويع إما أن يغمط النص الأدبي حقه من التميز ويساويه بالخطابات اليومية، أو يغمط من الخصوصيات المعرفية للتداولية ، وكلا الأمرين في ميزان البحث العلمي يحتاج مراجعة.

ليس الغرض من التحليل التداولي للنصوص في الأصل بيان أدبيتها أو ملامسة مكامن الجمال فيها، لأن النظرية التداولية ومباحثها الأساسية وهي السياق والحجاج وأفعال الكلام والمحادثة إنما جاءت لتوصيف حالة اللغة في شكلها الطبيعي التواصلي، ولا يعرف لحد الآن . حسب اطلاعنا . من الباحثين من استلهم من هذه النظرية آليات نقدية خالصة يمكن الاستفادة منها في باب التحليل النقدي التداوليّ لجماليات النصّ، خلا كتابين أحدهما لجان ميشال غوفار "Jean-Michel Gouvard" بعنوان "التداولية: أدوات للتحليل الأدبي" تركز اهتمامه فيه على الإحالة اللغوية في كل المباحث، من حيث هي آلية لغوية تربط النص بالمقام والثقافة، والثاني كتاب دومينيك مانغينو "Dominique Maingueneau" بعنوان "تداولية من أجل الخطاب الأدبي" ذكر في فصوله كل القضايا التداولية المعروفة كالحجاج والمحادثة وأفعال الكلام والتلفظ، وخصَّص فصلا للكلام على الاستلزام والقصدية، وكان أول كلامه فيه على المعنى الضمني.

ولعل النتيجة التي نخلص إليها من مطالعة الكتابيْن، ومن قراءة ما ألفه الباحثون في هذا الميدان، أن توظيف التداولية في دراسة الأدب يقوم أكثره على الإسقاط، لأن التحليل التداولي هو تحليل للمظهر الطبيعي للغة وليس الأدب كذلك، كما نخلص إلى أن استثمار هذه النظرية في تحليل

الخطاب الأدبي حق التحليل يستوجب تطويعا خاصا يمكن من خلاله أن يجيب الباحث عن أسئلة جوهرية حول التفسير التداولي للإبداع.

إن النظر في المراحل المقترحة للدراسة التداولية يكشف عن تراتب في التحليل التداولي، بداية من تحليل التماسك بين النص وسياقه الخارجي من خلال فعل الإحالة، ثم التفاعل الداخلي من خلال ما يسمى المحادثة التي تبنى بها النصوص التواصلية عادة، ثم البحث في الأثر الفعلي الخارجي للنصوص من خلال نظرية أفعال الكلام. وليس شرطا أن يتقيد الباحث أو المحلل بهذه الخطوات وبهذا الترتيب، بل إن له أن يختار أحدها لأن كلا منها هو مستوى من مستويات التداولية مستقل بذاته نسبيا ويمكن أن يكون موضوعا للتحليل بمعزل عن غيره من الموضوعات الأخرى، لكن غرض التحليل هنا هو الإبانة عن العلاقة الجوهرية بين مكونات الرؤية التداولية للغة عموما وللنصوص على وجه التحديد.

وسنسعى فيما يأتي لنناقش التلاقيات الممكنة بين الأدبية والتفسير البرجماتي من أربع نقاط ، أغلبها افترضناه من المعطيات التأصيلية للنظرية التداولية في صورة محضن الشكلانية الأول، وعلاقة الأدبية بالتجربة، سيمياء العلامة بدرجات المعنى التواصلي، وبعضها اقترحته بعض الدراسات اللغوية الفرنسية في صورة أعمال جان ميشال غوفار ودومينيك مانغينو. ولكننا مازلنا مترددين بشأن أفعال الكلام من جهتين: من جهة نسبتها إلى

التفكير البرجماتي في الأصل، ومن جهة قدرتها على مقاربة النصوص الأدبية على اختلاف أنواعها، وسيأتي تفصيل ذلك فيما يأتي.

أولا : الأصول البرجماتية للشكلانية وأجيالها المعاصرة

يعتمد تحليل الخطاب . في نسخته الأصلية عند زليغ هاريس . على آلية مزدوجة لسانية وثقافية، قوامها من جهة لسانيات تدرس العلاقات بين الجمل لا الجمل في ذاتها، وقوامها من جهة أخرى نظرية الثقافة التي تبحث في العلاقات المتبادلة بين النص والسياق الخارجي. وقد يظهر لنا أن الأجيال النقدية المعاصرة في فرنسا وما تبعها من أصداء في الجامعات العربية إنما كان ثمرة المدرسة الشكلانية، والتي يظهر أن مسعاها الأول كان محايثة القراءة للنص الأدبي، أو الاشتغال على الأدبية من داخل النظام اللغوي، ومن داخل النسق النصيّ. ومرد ذلك كما جاء في أغلب الدراسات التارخية عن الشكلانية هو السعي إلى فصل النص عن العوامل الخارجية وسياقاته المحيطة، بما في ذلك المؤلف نفسه.

لكن المفارقة تظهر في أن الشكلانية إنما قامت على مبدأ برجماتي عندما حدد فكتور شكلوفسكي أدبية النص بناء على مقدار التفاعل الحاصل بين المؤلف والموقف، أو لعلاقة المؤلف بالنص. ودار ذلك على أن موقف المؤول الأول ، وهو المؤلف، من النص بوصفه علامة إنما ينبني على علاقة هذا الأخير بالأشياء التي ليست إلا تجربته الحياتية. إن الحقيقة

الكامنة أمام أعيننا هنا أن تفسير شكلوفسكي للأدبية لم يكن شكلانيا بالمعنى الذي سارت به الركبان، بل إن كلامهم على شكل الأدب ليس إلا حاصل تحليل الظاهرة البرجماتية في تفاعل المستعمل مع النص الأدبي.

ثمة قاعدة شكلانية قديمة، تعود إلى رواد الشكلانية الروسية من أمثال فيكتور شكلوفسكي، تقول: "إن ثراء التجربة الشعرية يرتبط بثراء الشعور بتجربة الحياة"، لا شك أن الشعور بالحياة هو جزء من التجربة نفسها، لأن الخبرة لا تشمل الأشياء والأحداث بقدر ما تشمل تعالق الفرد مع تلك الأشياء والأحداث كنوع من التشفير وبناء العلامات أو توليد للمعاني المضمرة، ولهذا وعلى الرغم من تماثل تراكيب الأحداث في حياة الناس، إلا أنهم يتفاعلون معها بطرق مختلفة ويشحنون لغتهم إزاءها بطرق مختلفة، ويستعيدونها في الاستعمال بعد ذلك بطرق مختلفة. والشاعرية هي الخصيصة التي تسمح بأكبر قدر ممكن بالتفاعل العاطفي مع التجارب، وتؤرخ لحظات الخبرة في الأدب، ولذلك تعد الشاعرية بحق سبيل "سمطقة" للغة العادية، وكما سلف قولنا في أصول التداولية، تكمن أهمية النظرية البرجماتية في رؤيتها للعلامة لا من حيث هي خزان للتجربة فقط، بل بما هي جزء لا يتجزء من تلك التجربة.

وهذه القاعدة البرجماتية تتلخص في أن علاقة المستعمل بالعالم هي التي تفضي إلى تحديد طبيعة علاقته بالنص الأدبي، وهذه الأخيرة هي التي

تحدد درجة الأدبية فيه. ولم يتوقف الأمر في التفسير الشكلاني للأدبية عند هذا الحد من الاقتصار على المؤلف، بل لقد عد الشكلانيون طريقة تفاعل القارئ، من حيث هو مستعمل آخر للنص، مع الأدب عاملا جوهريا في تشكيل الأدبية، فتغريب اللغة ليس له من غاية إلا جعل القراءة في حد ذاتها تجربة جمالية، بل لعل هذا هو التفسير الشكلاني الوحيد لمفهوم الجمال، وفيما يأتي مزيد بيان لهذه القضية.

ثانيا : المعنى التواصليّ وعلم السيمياء

يعد المعنى التواصلي من القضايا الأساسية التي تناولتها الدراسات التداولية بعد بيرس، ويسمى المعنى في هذه الحال تواصليا تمييزا له عن المعنى الوضعي أو الحرفي الذي تنص عليه المعاجم. فالمعنى في السياق، أو المعنى السياقي ليس حاصل جمع المعاني المعجمية، ثم إن هذا المعنى يتفرق إلى أشكال مختلفة تتراوح بين الحقيقة وبين أعلى درجات المجاز الممكنة. وقد اكتفى الدرس التداولي بالتمييز بين المعنيين الحرفي والتواصلي، ونحن نعتقد أن هذا من الأخطاء التي وقعت فيها التصنيفات الجاهزة عند الدارسين المتأخرين.

والسبب في ذلك أننا نعتبر المعنى الحرفي نوعا من أنواع المعاني التواصلية، لأن المتكلم يقصد من خلال الخطاب إما التعبير المباشر عن المعنى ، وإما التوسل إلى ذلك بطرق غير مباشرة، وقد أحسن عبد القاهر

الجرجاني بالقول في هذه القضية ما نصه: «الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدتَ أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فقلتَ: خرج زيدٌ، وبالانطلاق عن عمرو فقلت: عمرٌو منطلقٌ وعلى هذا القياس. وضرب آخر لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلُّك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل»[17]. وعلى هذا فإن المعنى التواصلي يتراوح في واقع الاستعمال بين الحقيقة والمجاز، وليس شرطا فيه أن يكون بالغ التشفير من جهة تضمين المعنى، بل لقد يكون صريحا لا يحتاج تأويلا، وقد يكون بخلاف ذلك كما ذكر الجرجاني.

وعليه فقد تفيد الآليات المنهجية البرجماتية التي ألمحنا إلى بعضها سابقا في دراسة اللغة الشعرية، غير أن مآلات التحليل مختلفة عن مآلات دراسة لغة التواصل اليوميّ، لأن الغرض من التحليل هنا ليس تفسير الاستعمال من حيث هو عملية تواصلية، بل الغرض الرئيس تفسير شعرية اللغة أو سيمياء العلامة. وقد نجد في كلمة وردت في نص شعري مثالا مناسبا لذلك، والبحث التداولي يسوقنا إلى مساءلة معناها وشعريتها. كيف لكلمة واحدة أن تتحول إلى رمز شعري خاص؟

ليس من الصدفة في شيء أن يكون مؤسس البرجماتية هو نفسه مؤسس علم السيمياء، بل لقد نشأت النظرية البرجماتية في محضن علم العلامات هادفة لإثراء معرفتنا بقوانين اشتغال العلامات في الحياة. وقد وضع بيرس مفهوما محوريا في مقارباته السيميائية هو "سيمياء العلامة"، ويظهر من هذا أن المفاهيم الأساسية التي بلورها كانت منطلقا للسيميائيات النقدية، أو لما يعرف بالمنهج السيميائي في دراسة النصوص الأدبية. ومع أننا نرى هذا المنهج تطورًا غير طبيعي للفكرة الأصلية، خاصة إذا ما تعلق الأمر بسيمياء النص السردي، إلا أن دراسات ريفاتير حول "سيمياء الشعر" و"مدلولية القصيدة" كانت أكثر الكتابات وفاء لفكرة بيرس حول سيمياء العلامة.

على أن وظيفة البرجماتية لا تتوقف عند توصيف الاستعمال، بل هي تبحث في تفسير هذا الاستعمال من خلال ما اصطلحنا على تسميته "تاريخ العلامة"، أو تاريخ استعمالها منذ النشأة والاكتساب إلى أن تصل إلى راهن الاستعمال الموضوع على بساط البحث. والمقصود بسيمياء العلامة في عرف بيرس مقدرتها الكامنة على توليد علامات أخرى ذات دلالات متنوعة، بناء على ما يمكن أن توحي به في ذهن المستعمل. ومن نافلة القول أن نشير إلى أن مصطلح الشعر في الخطاب النقدي المعاصر في العالم العربي تعتمله ثقافتان مختلفتان: أولاهما ثقافة البويطيقا الأرسطية التي ورثتها أوربا

وصدرتها من خلال المناهج الأدبية الحديثة، والثانية هي عناصر الشعرية العربية القديمة، فأما الأولى فتعتمد على التخييل الذي قوامه الانزياح وهي تضيف إلى ذلك مفهوم النصية، وأما الثانية فلا تنفك عن فكرتي البلاغة والإيقاع.

ولغة الشعر الحديثة تعول كثيرا على تلك الحقيقة السيميائية، بما يجعل الكلمات الشعرية ثرية من الناحية الدلالية قابلة للقراءات المتعددة، وقد قامت فكرة "سيمياء الشعر" على اعتبار اللغة الأدبية لغة غير مباشرة تضطلع بتمويه المعنى من جهة، وتستدرج القارئ من جهة ثانية نحو احتمالات للدلالة غير تلك التي تظهر من القراءة الحرفية. كيف تكتسب الكلمة / العلامة هذه القدرة؟

لهذا السؤال جوابان في التداولية: يتعلق الأول بوصف الاستعمال ومداره على سياق اللغة، فأسلوب الكتابة هو العامل الحاضر الماثل بين أيدينا والذي يحدد مدى اتساع مساحة الإدلال في الكلمات، وعليه يمكن أن نتصور أشكالا مختلفة من الأساليب تحدد بنسب متفاوتة تنوع الدلالات، ويتعلق الثاني بتفسير الاستعمال في ضوء تاريخ العلامة مع المستعمل.

وفي بيان هذا المنحى الثاني من الإجابة يمكن أن نصوّر تاريخ العلامة على أنه رحلة تسلكها العلامة منذ نشأتها أو تلقيها من طرف المستعمل، وما يحصل أن التجارب التي تجمعهما معا . أي المستعمل والعلامة . تعمل عمل

التشفير (أو الترميز أو السمطقة)، والمقصود بالتشفير هنا شحن العلامة بالدلالات بحسب تنوع الخبرات، فكلما كانت التجارب المعيشة من طرف المستعمل متعلقة بتلك العلامات أو بقريباتها من العلامات كان ذالك عاملا في إضفاء ظلال من المعنى عليها لم تكن لها في الخبرات السابقة.

قبل محنة فلسطين مثلا، لم تكن كلمات "زيتون" أو "أرض" أو "أم" مشحونة دلاليا كما هي اليوم، والسبب ظاهر مع المستعمل الفلسطيني لتلك العلامة، لأن الخبرة أكسبت الكلمة قدرة على الإدلال لم تكن لها من قبل، هذا هو ببساطة مقصودنا من التشفير، وليس يقصد به تعمية المعنى أو إغماضه أو التمويه به. وهذه الآلية هي نفسها التي تفسر ثراء المعنى في لغة الشعر، أقله عند الشاعر بما هو مستعمل لها في المقام الأول، فتجارب الشاعر بكل ما تحتمله من مكونات عاطفية وشعورية وحسية وحدثية وأشياء وأشخاص ونصوص هي محطات لشحن الكلمات بالمعاني، وبناء على المسيرة التي تسلكها العلامة وفق منعرجات الحياة يتوقف الاستعمال الحاضر لها:

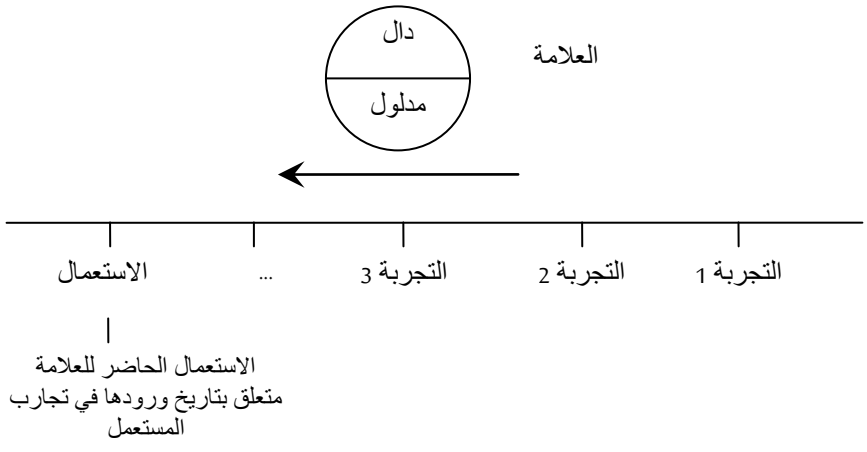

الشكل 04: تاريخ العلامة هو تاريخ استعمالها منذ نشأتها أو اكتسابها

مع أن للعلامة دالا ومدلولا مركزيين إلا أن ذلك لا ينفي عنها ظلالا للمعنى تتعلق بالأفراد

قد يسمي علماء الدلالة هذه الظاهرة "تطورا دلاليا"، لكن تصنيفها عندهم يفتقر لمستوى التحليل السيميائي، فأشكال التطور في مؤلفات علم الدلالة لا تتجاوز ثبات المعنى، وتوسعه، وانحساره، وقد يضيف بعض الدارسين شكلين آخرين قياسا إلى المواقف الاجتماعية والأخلاقية فيعدون انحطاط المعنى ورقيه شكلين من أشكال تطور الدلالة[18]. ومع هذا فإن

الاقتصار على التصنيف البسيط يحرم الدارس من رؤية التغيرات النسبية والثرية بالتفاصيل في تاريخ العلامة ومعناها، وقد يمثل تحليلنا للغة الشعرية بيانا ملائما لهذه الحقيقة.

قد يكون الشعر أكبر محفز لطاقات الإدلال في الكلمات، لأنه يتراوح بها بين معناها التواصلي والحرفي وبين غموض معناها. والمحور الذي يربط هذين الطرفين يتضمن حالات كثيرة من الإدلال، تزداد معها احتمالات التأويل كلما اتجهت العلامة اللغوية نحو حالة الغموض. والفكرة السيميائية الجوهرية لهذه المعادلة هي أن ثراء الإدلال يتعلق بمدى غموض معنى العلامة في السياق، وهذا يشبه عمل المفارقة، لأن غموض المعنى يقرب من انعدام الدلالة، ومع ذلك وبقياس النظرية الشعرية الحديثة فإن غموض النصّ هو مفتاح تعدد القراءات، وتعدد الدلالات الممكنة.

فسياق النص عامل أساس في بناء الأسلوب الشعري الذي يكفل للكلمة قدرة إدلال ليست لها في حالاتها التواصلية العادية أو الحرفية، ونصوص الشعراء المعاصرين مفعمة بهذا النوع من التسييق[19]، نصوص يعتمل فيها مجاز يتجاوز قواعد اللغة المألوفة في مستوياتها المختلفة النحوية والصرفية والمعجمية. ولا شك أن هذه اللغة الشعرية بقدر ما تدفع الكلمات نحو مستوى متميز من الإدلال بقدر ما تترجم ثراء التجربة التداولية في مسيرة

الشاعر، ليظهر أن التداولية لا تنفك تصوب نظرها نحو العلامة . أو النص . ونحو المستعمل . أو المؤلف في المقام الأول . في الوقت نفسه.

مدار ذلك على تأويل النص في إطار الخبرة بكل ما يتوفر للدارس من إمكانات الاطلاع على خصوصية التجربة الشاعرية، والتجربة الشاعرية تتعلق بشخص الشاعر وحياته وتجاربه وهي تفرق بهذا عن التجربة الشعرية بما هي نص جاهز. ولعله يجدر بالباحث التداولي أن يميز بين عمله على هذا الجانب وبين ما تقدمه المناهج النقدية الكلاسية في علم النفس والاجتماع والتاريخ، فليس النص في حال التحليل التداولي مجالا لاستعراض مكنونات النظريات النفسية والتاريخية، ولكنه مفتاح لفهم التجربة الشاعرية وسبيل إلى استدراج العلامات نحو أفقها السيميائيّ.

لعلَّ أهم مشكلة رافقت التحليل النفسي للنص الأدبي أن المحلل لم يملك التخلص من هوس النظريات النفسية ذات الطبيعة المرضية، وأن عملية التحليل قد تتحول إلى إسقاط آلي لمعطيات هذا العلم على العمل الأدبي، كما أن إجراء كهذا قد ينتج عنه تعمية الجوانب الأكثر أهمية في حياة النص الأدبي وهي جماليته، ولهذه العوامل مجتمعة تسعى التداولية إلى تجاوز عقبات التحليل المنهجي لتركز على مفهوم الخبرة أو التجربة بعيدا عن المعطيات النظرية المسبقة، إذ لا يمكن لأحد أن ينفي كيف تؤثر حياة الشاعر وتجاربه وخبراته ومواقفه السابقة في رسم ملامحه الشاعرية.

وبقدر ما يطول الحديث عن التجربة الخاصة في تأسيسها للأدب، بقدر ما تكرس الرؤية التداولية القيمة الثقافية، فهي ترى في الأدب ظاهرة ثقافية بامتياز، والمعول عليه في تأسيس التفسير الثقافي للأدب اعتباره تقنية جمالية أو إبداعية تستمد قيمتها الجمالية من العرف الفنيّ. فالجمال من حيث تحديداته ونظرياته القديمة والحديثة يؤكد على أنه قيمة ثقافية عرفية تتغير بتغير الزمان والمكان، ما كان العربي في الجاهلية قمة الشعرية قد لا يكون كذلك اليوم، وما تكرس جماليته النقديات الفرنسية المتأثرة بمبادئ الثورة الحديثة قد لا يناسب الذوق العام في البلدان العربية. وقد يكون للتفاعل بين الثقافات المختلفة دور في تقريب القيم الجمالية أو تطعيمها، وكل ذلك إنما يدخل في إطار تفسيرنا التداولي للظاهرة الجمالية في حد ذاتها بما هي انعكاس لتجربة ثقافية جمعية.

ثالثا : النظرية الأدبية وإجراء النقد

يمكن للتداولية أن تؤسس للنظرية النقدية من جهة الأنواع الأدبية أيضا، بوصفها لتلك الأنواع على أنها أنماط تواصلية مستقرة من الناحية الاستعمالية. بل إن النظرية النقدية هي موضوع للتحليل البرجماتي، ذلك أن موقف النقاد من النص الأدبي هو تلكم العلاقة التي نمسيها صلة المؤول بالعلامة، وهي ترى في محلية النظرة النقدية ظاهرة برجماتية تعكس نمطا ثقافيا خاصا لا يمكن بحال أن يعد كليا أو إنسانيا.

ولعل تنوع النظريات الأدبية والنقدية يعود غالبا إلى اختلافها في تفسيرا الظاهرة الأدبية، لأن الدراسات الأدبية ترى في الغالب همها الأول بيان ما يميز الأدب عن غيره من أشكال التواصل اللغوي الأخرى. وهكذا منذ أن وجه أرسطو وجهه تلقاء الشعر فإن تمييزه للنصوص الشعرية على حساب النصوص الأخرى إنما كان على مبدأ التخييل الذي يميز الشعر عن الخطابة، والتخييل لم يكن غرضا في ذاته بل كان العامل الذي يفسر أدبية النصوص الشعرية في نظره.

ولأن المقام لا يتسع لبسط هذا الاختلاف بين النظريات، فإننا سنختزل الفروق المعرفية التي انتهت إليها في مجموعة من الثنائيات تتنوع ظاهريا وتتضافر جوهريا: منها ما يقابل بين الأدبية والخيال وهي أقدمها في الفلسفة اليونانية ولها امتدادات في الوقت الراهن، ومنها ما يقابل الأدبية مع الجمال، ومنها ما يقابلها مع الإبداع، وعلى مدار هذه الثنائية الأخيرة أجيال الشكلانية منذ نشأت إلى يومنا هذا.

ولكن الملحوظ على الرغم من الاختلاف أن جوهرا واحدا يجمع هذه التفسيرات المختلفة للظاهرة الأدبية، بل إن مفاهيم الخيال والجمال والإبداع هي مفاهيم يؤول بعضها بعضا، ولذلك نرى مثلا أن التخييل الذي اعتمدت عليه النصوص الشعرية حسب أرسطو كان آلية لإضفاء الجمال على النصوص، كما كان آلية لتجاوز مألوف اللغة وتحقيق الإبداع. وبالمثل

يمكن النظر إلى الجمال على أنه تفاعل يقع بين النص والقارئ من خلال التخييل والإبداع وهكذا.

واللافت للانتباه في هذا السياق أن كل المحاولات في نظرية الأدب كانت تعتمد صراحة أو تضمينا على ذلك التفاعل بين النص والمتلقي، حتى في أقدم الصور الشكلانية للأدبية عند فيكتور شكلوفسكي كان تركيزه وأتباع منهجه على شكل التعبير لأنه مدخل إلى إحياء النصوص في ضمائر القراء، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذا التحليل ليس إلا تداوليا، إذ يربط بين العلامة / النص والمستعمل / المتلقي.

ولعل ومن أبرز المباحث الأدبية في دنيا النقد اليوم المشكلة الأجناسية، من حيث هي تبحث في تماهي الحدود بين الأنواع الأدبية التقليدية من خلال جنسيهما الكبيرين الشعر والسرد. ولو سمح لنا أن نقيس غلبة المركز الأدبي في العصر الراهن لأمكن القول أن الأدبية والشعرية وجهان لعملة واحدة، وبهذا نص رومان جاكبسون[20] في نظرية الاتصال اللغوي.

ولعل هذا المذهب من أثر بقايا الفلسفة اليونانية، لا فرق بين الأدبية والشعرية في المعرفة المركزية الإغريقية اللاتينية، وهذا هو الاتجاه الذي تسلكه الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة، وآية ذلك أمران اثنان: الأول أن مفهوم الشعر اليوم يفقد قيمته الثقافية لحساب نظرية كونية . أو تسعى لأن تكون كونية . إغريقية أرسطية الأصل، والثاني أن الحدود بين الأنواع الأدبية

صارت متماهية، ولم تعد الكتابة السردية . في صور ملفوظاتها الحكائية . تجد ضالتها إلا بامتهان لغة إبداعية تخييلية.

رابعا : الإحالة والنص الأدبي:

أول مدارات التداولية التفاعل بين النصّ وسياقه الخارجيّ، ومناط ذلك الإحالاتُ التي تشير إلى ظروف التواصل من زمان ومكان، أو إلى الشخوص المتواصلين، أو إلى الأشياء والأحداث الخارجية التي تحيط بعملية التواصل. وقد سبقت الإشارة إلى أن جان ميشال غوفار كان قد اقترح هذا المدخل التداولي ليكون أنسب آلية لتحليل النصوص الأدبية. وثمة أمثلة كثيرة لمثل هذا الاستثمار يمكن إعادتها إلى ثلاثة عناصر كبرى فيما يأتي:

الأول هو المستعمل للنص سواء كان مؤلفا أو قارئا، والمعلوم في اللسانيات أن الإحالة هي الانتقال من العنصر المبهم إلى العنصر المؤول أو المرجع[21]، وعادة ما تكون الإحالة في النصوص إلى شخص المتكلم أو المخاطَب، حيث تجري الإشارة إليهما نصا بالإضمار. ولا يجب أن ننظر إلى آلية الإحالة بهذا القدر من الاختزال الذي تنص عليه المعاجم اللسانية، لأن الإحالة في مفهومها الجوهري تشل كل رابط بين النص وبين المستعمل، ومن أمثلة النماذج النقدية التي اعتمدت آلية الإحالة إلى المستعملين المناهج النقدية المسماة سياقية، لأنها تلتفت رأسا إلى المؤلف، ويساويها في ذلك القدر النماذج النقدية المتولدة عن نظرية القراءة والتلقي.

وقد تسهم الإحالة في كثير من الأحيان في تبئير النصوص الأدبية، والتحكم في آليات التأويل والقراءة، وتتحول بالتالي إلى أداة لتمويه المعنى أو تضمينه أو تأجيله ، ولأن الارتباط بين الإحالة وبين دلالة النص وثيق إلى هذه الدرجة، فأنه ليس من المستبعد أن تكون أدبية النص مرتبطة غالبا بكيفية توظيف المؤلف للإحالات الشخصية في نصه، خاصة منها النصوص الشعرية، لأن النص الشعري ينبني على نمط الإحالات الشخصية أكثر من الأنواع السردية التي ترتبط بالزمن في كثير من حالاتها. وفي المقطع التالي من قصيدة "قميصنا البالي" لسميح القاسم مثال على ذلك التوليف بين تضمين المعنى وبين الإحالة الشخصية:

ستطول غيبتهُ ،
و برد الغرب ، يحكى ، لا يطاقْ
يا أمّهُ فتفقدي كل الحقائبْ
و دعيه رهن ذراع صاحبْ
هاتي له الشال الذي حيّكتِهِ
بين انتظار صغيرك الغالي و همهمة الوِجاقْ
ستطول غيبتهُ ، و برد الغرب . يحكى . لا يطاقْ
يا أمهُ أزف الرحيلُ
إياك أن تنسيْ جِرابَ الصوفِ .. في حمّى العناقْ

و تجلّدي ، فصغيرك الغالي يعذبهُ العويلْ
مُذْ مات والدهُ .. يعذّبه العويلْ
بوابة الميناء مُشْرَعةٌ
و مُشْرعةٌ مناديلُ الرفاقْ
يا أمّه لُوذي ببعض البيتِ .. و ابْكي باحتراقْ[22]

إن اعتمال دلالة النص بتوزيع خاص للإحالات الشخصية في هذه المقطوعة الشعرية يؤدي وظيفتين على الأقل: فهو من جهة يبني عماد نصية النصّ ويشكل أداة فاعلة وضريرة في اتساقه النحوي وانسجامه الدلالي، ولعل التشابه المطرد أو التكرار الظاهر للضمائر الشخصية يجعل الروابط بين الأسطر الشعرية أقوى في تحقيق نسق الخطاب. والثاني أن هذا الاطراد معلق بآلية تأويل الضمائر نفسها، فإذا كان حضور الضمير الشخصي مكثفا إلى الدرجة التي سلفت الإشارة إليها، وإذا كان تأويل كل ضمير معلقا بذكر المرجع في النص أساسا، فإن هذا التوزيع يغدو إلى ما يمكن تسميته باللعبة الدلالية، وهي نوع من أنواع تعمية المعنى التواصلي، أو نوع من أنواع اختلاف الفجوات الدلالية التي تجعل تأويل النص في حد ذاته مطلبا جماليا.

وإذا جاز لنا أن نربط هنا ربطا شبه آلي بين الشعرية الحديثة وبين الغموض، فلا شك أن الإحالة كان لها دور محوري في إضفاء صفة الغموض، وفي تعويم المعنى، وفي إفساح المجال للقراءات المتعددة، وفي

إعطاء القارئ مساحة أكبر للاشتغال على التأويل، وبالتالي أسهم كل ذلك في تحقيق الغاية الجمالية من احتمالية المعنى ، أو في سيمياء النص الشعري.

والعنصر الثاني في استثمار آلية الإحالة في تحليل النص الأدبي هو الإحالة الثقافية التي تعتمد على كل المكونات الثقافية في النصوص أدبية كانت أو غير أدبية، ومن أبرز نماذجها في اللسانيات أسماء العلم والإحالات التعيينية، ويضاف إليها الرموز الثقافية التي تكتسب دلالات خاصة من خلال اطلاع القارئ على التاريخ والدين والاجتماع والأساطير. ولا شك أن كثيرا من المناهج النقدية وظفت المعرفة الثقافية في تحليل النصوص الأدبية كالمنهج التاريخي والمنهج الثقافي، بل وحتى المنهج السيميائي الذي يرى في الأدب ذاته ظاهرة ثقافية.

والمقصود من مصطلح "الثقافة" في اللسانيات أمران : الأول يشير إلى كل العناصر الفاعلة في التواصل من خارج النص، وهذا الذي عليه مدار الثقافة في تحليل الخطاب عند زليغ هاريس[23]، وهو المسمى في البلاغة العربية "مقاما"، والمسمى في الدراسات النقدية خطأً "سياقا"[24]، والمعنى الثاني للثقافة في اللسانيات هو ما يقابل اللغة في بناء المعجم. فالمعجم من حيث هو مجموعة من الكلمات التي تقوم عليها التواصلات يتضمن نوعين من المفردات: الأولى تمثل المعجم اللغوي وهو طائفة الكلمات التي تحتمل الإحالة

المطلقة، والثاني هو المعجم الثقافي وهو طائفة الكلمات التي لا تحتمل إلا إحالة التعيين كأسماء العلم.

ولهذا النوع الثاني من الإحالات الثقافية أثر بالغ في تشكيل اللغة الشعرية من جهة ترميز النص وتكثيف دلالته، أو من جهة تقييد تأويله إلى معرفة خاصة قد تبقى غير مرئية عند كثير من القراء. ولهذا تتحول الإحالة إلى فعل نصي مزوج الأثر: فهو من جهة يحتمل ثقافة للنص تكسبه زخم الثقافة، وهو من جهة أخرى يمارس تعمية المعنى النصي ويحقق قدرا من جماليته. ولنا أن نتمثل هنا بمثالين: الأول من قصيدة "وطن تائه" للشاعر عز الدين ميهوبي، والثاني للشاعر محمد الطوبي من نص "عروس القرنفل". يقول عز الدين ميهوبي في مطلع القصيدة :

وطن يفتش عن وطنْ ..
وعيون فاتنة من الدامور .
تحتضن المقابر والكفنْ ..
وطن يصدر من مدامعه الرجولة والأنوثة
والسياسة والزعامة والفتنْ ..
وطن يباع صراحةً ..
ما بيا أروقة الكنائس والمساجد والمخامر
والمزابل واحتمالات الزمنْ .. [25]

وتستمر القصيدة على نفس المنوال في تطوير الأخبار حول كلمة "وطن" لكن من دون تعيين، وشعر القارئ عندها وهو يسترسل في القراءة أن تمويه الوطن يجعل النص قابلا للتأويل في كثير من ممكنات التأويل، لكن كلمة واحدة في النص كله تحوّل التمويه إلى نوع من السيمياء الثقافية، وهي اسم العلم "الدامور"، ولعل القارئ لا يلقي إلى هذه الكلمة بالا أول الأمر، لكنها تمثل في الحقيقة نقطة ارتكاز لتأويل النص، أو لتوجيه سيميائياته الشعرية.

ولعل الفعل الثقافي الأبرز لهذه الكلمة هي إحالتها إلى أحداث بعينها من تاريخ الحرب في لبنان، وثقافة القارئ تلعب دورا في إرساء هذه النوع من الإحالات، ولعل فعلها في توجيه الدلالات المفتوحة نحو غرض محدد لا يحول بينها وبين كونها تعبر في ذات الوقت عن نوع من الوعي بالتاريخ والانتماء الحضاري والحس الإنساني والالتزام بالقضايا، وهي مؤشرات فاعلة في جمالية اللغة الشعرية أحيانا، أكثر من اللعب على المدلولات المنفتحة انفتاحا حدود له.

ومثل ذلك قول الشاعر المغربي محمد الطوبي في نص "عروس القرنفل" بعد عدة مقاطع من لغة بالغة التشفير:

آمني بصواعق جذبتي وانخطافي آمني بما يتدفق في صدرك من ألق كريم فابتهجي عليكِ أعلنتُ أعراسي وأكملتُ طقوسي وفرائضي إسرائي إليكِ فيكِ بكِ ومنك يسّاقطُ عليَّ الفرحُ صفيًّاً تقيًّا طيّبًا وسخيًّاً ، شاهدُنا "سبو" المترف المسرف في هواه حبيبنا "سبو" الجامح الشَّرار المكتنز الغواية فاتح بداية اللقاح الواهب جذوع السرو الساكن مواعيد الشتول ..[26].

ويظهر لنا أن الإحالة الثقافية هي اقوى الروابط التداولية في الخطاب، لأنها تكشف عن خصوصية العلاقة بين النص ومستعمله، الذي هو في المقام الأول مؤلفه، ولئن كانت كلمات اللغة مشتركة في المعنى الوضعي بين جميع الناس، فإن الإحالات الثقافية خاصة خصوصية التجارب

الفردية، ولعل أسماء العلم من أكثر العلامات الحاملة لخصوصيات التجربة الإنسانية، كما يظهر ذلك من كلمة "سبو" في هذا المقطع.

ومع أن هذا النص متمنع أشد التمنع عن سياق واضح المعالم للسيميوز يمكن من خلاله أن نحدد آليات للقراءة والتأويل، إلا أن إيراد كلمة "سبو" كان لها فعل نقطة الارتكاز، لأنها تحول نظر القارئ شطر محمد الطوبي نفسه، ونحو تجربته الخاصة وحياته في مدينة القنيطرة، ووادي سبو الذي يقطعه. ثمة غشارات ضئيلة إلى حياته العاطفية التي تتقوى بفعل حضور هذه العلامة، ومع أن محلل الخطاب ليس مجبرا على بيان مقاصد المؤلف بقدر ما هو مجبر على تفسير آليات الكتابة والتأويل، فإن هذه العلامة كان محطة فاعلة حقا في فعل القراءة.

وأما العنصر الثالث من عناصر التحليل الإحالي للنص الأدبي فهو الإحالة الزمنية، وعليها مدار تحليل النصوص السردية خاصة، لأن الملفوظ السردي هو المقطع الأساسي من الكلام حيث يظهر الفعل اللغوي معبرا عن حدث مرتبط بزمن، فالسرد يشبه نوعا من التأريخ، أو موضعة للأحداث والشخوص المرتبطة بها، بما في ذلك الراوي والمؤلف والقارئ، في سياق الزمن، ونموذجها الأصلي في اللسانيات يعتمد على العلاقات بين النص والمقام من خلال توظيف المتكلم لإشارات زمنية محددة تقيد تأويل الملفوظ بمقام التلفظ[27]، لكن الواقع في النصوص الأدبية أن محور التحليل الزمني يتعلق بنسق الأحداث في النص أولا، وبعلاقة هذا النسق بالراوي، وهي أجزاء من زمنية الخطاب الأدبي وليست كل زمنية الخطاب.

وبناء على الفكرة البرجماتية الأساسية يمكن تقسيم زمنية النص السردي إلى ثلاثة أقسام : أولها زمنية الحدث، وهي الوقائع التي يخبر عنها النص مترابطة فيما بينها في نسق يصنعه النص نفسه، وزمنية السرد بما هو فعل للراوي الذي يظهر في إضمار الخطاب السردي، وزمنية الكتابة بما هي

خصيصة في المؤلف بما هو كائن تواصلي فعليّ. وقد يبدو من المفارقات القول إن أكثر معالم هذه الزمنية تأثيرا في الفكرة البرجماتية هو أقلها فاعلية في النص الأدبي من حيث هو تقنية، وهو المؤلف.

والسبب في هذه الظاهرة المزدوجة، أي في كون المؤلف عنصرا برجماتيا بامتياز، وبكونه عنصرا فنيا أقل فاعلية من الراوي، أنه كائن تواصلي واقعي، والبرجماتية لا تؤمن بالشخوص النصية من حيث هي مستعملة للخطاب، إلا إذا كان هذا الاستعمال حقيقيا. ولذلك نرى من ضرورات التحليل التداولي التمييز بين الحوار بوصفه ظاهرة نصية خالصا ينسجها منتج واحد وهو المؤلف، وبين المحادثة بما هي تفاعل واقعي بين مؤلفين أو أكثر.

إن الراوي في الحقيقة شخصية نصية مثله في الكينونة مثل شخوص القصة نفسها، لكن أطر الإحالة الضميرية إليها أظهر بكثير من أطر الإحالة إلى شخوص الأحداث إلا إذا كان هو أحدها، وفي هذه الحال يصبح فعل الإحالة إلى شخصيته مؤثرا مباشرا في سير الأحداث، وقد يقع في حالات كثيرة من الكتابة الروائية أن تكون لشخصية الراوي ظلال واقعية، أو ملامح يتماهى من خلالها مع شخص المؤلف، لكن هذا الفعل في حد ذاته افتراضي، خاصة في الرواية المعاصرة، حيث تعددت تقنيات الكتابة حتى إنه ليصعب، أو يستحيل أحيانا أن نضع أيدينا على الخطوط التي تربط الكاتب بالراوي.

ولنمثل للفكرة التي سبق عرضها هنا من رواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي، هذه الأخيرة هي المؤلف، وهي شخص حقيقي أو واقعيّ[28] ، وهي تكتب الرواية وتموضع الأحداث والأشخاص في الزمن من خلال راوٍ اسمه "خالد"، هو في ذات الوقت شخصية عاملة تتمحور حولها كثير من الأحداث، والمحور البرجماتي كما سبق بيانه هو العلاقة بين العلامة والمستعمل، والمستعمل في عرف الكتابة هو المؤلف "أحلام مستغانمي"، أما الراوي فهو

علامة من علامات النص قد تضطلع بالدور البرجماتي الأكثر بروزا ، حيث تتداخل الشخصيتان، أو يقع بينهما من التماهي ما يجعل "خالد" أحيانا ناطقا باسم المؤلف.

ولكن هذه الظاهرة البرجماتية تزداد تعليقا عندما ترسم الكاتبة شخصية في القصة اسمها "أحلام"، وتتقاطع مع "أحلام" الواقعية بطرق مختلفة، أقلها حضورها الأنثوي . وإذن فإن موقع الكاتبة من الرواية تتخذ شكلين من أشكال الإحالة على الأقل: شكل التماهي مه الراوي، وشكل التمويه من خلال شخصية "خالد"، هذه العلاقة البرجماتية المزدوجة هي نوع من أنواع الإبداع الذي عليها مدار تأويل كثير من الأحداث، أو كل الأحداث في الرواية، وهو من العوامل الأساسية التي أضفت على الرواية مسحة جمالية قلّ نظيرها في الرواية الجزائرية.

إن تفسير ظاهرة الإبداع في الكتابة الروائية عند أحلام مستغانمي من خلال الإحالة الزمنية ظاهر لأول قراءة، ومع أن آليته تبدو بسيطة لكن أثره في تشكيل شعرية لنص بالغ التعقيد. واعتماد النسق الداخلي في الإحالة إلى الأحداث وارتباطها بالراوي أولا، ثم ارتباطها بالكاتبة ثانيا يشكل مساحة كبيرا من الانزياحات اللغوية التي أسهمت في تحقيق شعرية المسرود.

ولعل أغلب أعمال أحلام مستغانمي الروائية تختزل في المؤلف عنصري الروائية والشاعرية، وفعل الشاعرية إنما ينعكس في لغة الرواية انطلاقا من الملفوظات البسيطة حيث تمارس الانزياح، وفي بنية النص كله حيث تبني نسقا كاملا من الأحداث أو العلاقات بين الشخصيات أو توزيعات الأحداث في الزمن، فكلها آليات لإحداث انزياح على مستوى أكبر قد يصل إلى حدود النص كله، وهذا هو مقصودنا من عبارة "شعرية النص الروائي".

رابعا : الأدبية والفعل الكلاميّ

لقد خصص فيليب بلانشيه آخر فصل من كتابه "التداولية من أوستين إلى غوفمان" لدراسة العلاقة بين التداولية والأدب من منطلق رؤية أوستين وسيرل[29]، وعلى الرغم من اعتبارنا لنظرية أفعال الكلام نظرية غير مناسبة للوصف التداولي للغة، إلا أن موقف أوستين من اقتراح التداولية نفسها لدراسة النص الأدبي كان موقفا يستحق التنويه. فقد أفضى به الأمر إلى القول بأن النص الأدبي "ملفوظ غير جاد" [30] وهذا حسب الترجمة التي أوردها صابر الحباشة .

وعلى الرغم من أن هذا الموقف قد لا يستساغ من طرف كثير من المشتغلين على النص الأدبي، ومن بعض المشتغلين باللسانيات أيضا، إلا أنه موقف يعكس حقيقة واقعة لا يمكن للمرء أن يعرض عنها، وهي أن النص الأدبي "كيان طفيلي"، لا يمثل واقع التواصل اللغوي في الحياة الراهنة. وقد يبدو هذا الخكم نسبيا بالنظر إلى تاريخ العلاقة بين الآداب والمجتمعات، ففي زمن مضى من تاريخ العربية مثلا لم تكن الفوارق بين لغة التواصل واللغة الشعرية كبيرة أو سحيقة كما هي اليوم، ولكن علينا أن ننظر إلى الأحكام التي أطلقها أوستين وسيرل وأن نموضعها في إطار فهمنا للتداولية من حيث هي دراسة للاستعمال اللغوي.

يقول سيرل في كتاب "المعنى والعبارة" : «إن الكاتب ينشئ شخصيات وأحداثا خيالية بإخفائه الإحالة على أناس وقص أحداث جرت لهم. وفي خيال النزعة الواقعية أو الطبيعية [في السرد الروائي] يعمد الكاتب إلى الإحالة على أماكن وظواهر واقعية مازجا تلك الإحالات بما هو من قبيل الخيال . ويقيم المؤلف جملة من التعاقدات مع القارئ تحدد إلى أي مدى تقطع مواضعات الخيال الأفقية مع ترابطات الجادّ العمودية. أما فيما يتعلق بمقبوليته فتعود أساسا إلى انسجامه. إن ما يعد انسجاما يعود في جزء منه إلى العقد الحاصل بين الكاتب والقارئ في ما يتعلق بالمواضعات الأفقية»[31].

ولا شك أن كلاما كهذا ينطوي على عدد من المغالطات، ربما يعود بعضها إلى استبعاد سيرل وأوستين كليهما لمحور النظرية البرجماتية، أو يعود لعدم إحاطتهما بمتطلبات الدرس والنقد الأدبيين، وقد أشرنا سابقا إلى أن الانسجام بين مكونات النص ليس معطى ثابتا، بل هو ظاهرة نسبية قد تتراوح بين الظهور والضمور لأسباب جمالية وبلاغية. كما أن توظيف مصطلحات من قبيل "أفقي" للدلالة على مكونات النص أو النسق، و"عمودي" للدلالة على ارتباط النص بالواقع لا يخلو من مغالطات أيضا، لأن هذه المصطلحات في أصل وضعها في اللسانيات لا تقتضي مثل هذا التأويل.

ويعلق فيليب بلانشيه نفسه على كلام سيرل التالي: «وتبث أغلب الآثار الخيالية المعتبرة "رسالة" أو "رسائل"تمرَّر عبر النص لكنها لا توجد في النص» بالقول: «فسورل يقدم الخطاب الخيالي بوصفه عملا لغويا غير مباشر (وهو تعريف سيعود إليه جيرار جينات) ضربا من الاستعارة القصوى (hypermétaphore)، فدلالته تتجاوز الملفوظ ذاته وترتكز على مواضعات مضمرة خاصة وعلى عقد واقع بين الكاتب والقارئ، إنها طريقة مخصوصة في اللعب مع العلامة، بما أن التلفظ ينشئ واقعا ومرجعا مكان الإحالة على واقع موجود (ما يسميه سورل "وجهة المعنى")»[32]. ولعل مقصود الرجلين معا الجمع بين مفهومي الفعل الكلامي والمعنى التواصلي المضمر، الذي يجعل من النص كله فعلا كلاميا دالا على معنى ضمني غير مصرح به، والغرض من الإضمار إحداث فعل كلامي خاص يتعلق بالأغراض الجمالية. والحقيقة أن هذه الفكرة ليست بالجديدة في ساحة النقد الأدبي، بل هي قديمة قدم البلاغة، وقدم نظرية الأنواع الأدبية بعدها، بل هي قديمة إلى حد علمنا من فلسفة أرسطو في كتاب "الشعر".

ولكننا نرى محطتين أساسين لتحليل النص الشعري وفقا لمفهوم الفعل الكلامي: الأولى هي محطة الملفوظ البسيط، وهو الجملة التي تشكل خلية نسق النص، وتشكل بعد تضافرها مع غيرها من الخلايا النص كله، ولا شك أن النص ، في رؤية هؤلاء، هو نسق من أفعال كلامية جزئية. ومع أن التصنيف الذي أورده كل من أوستين وسيرل لأفعال الكلام ليس نظرية كاملة، إلا أنها قد تفيد تحليل الخطاب الأدبي من هذه الناحية.

وأما المحطة الثانية فهي التي تظهر في اعتبار النص الأدبي كله فعلا كلاميا واحدا، وهي تموضع النص كله في ذلك الحين بوصفه خطابا متصلا واقعا في مقام محدد، ينبني عليه أثره التواصلي. وهذه النزعة في جمع شتات الأفعال الكلامية الجزئية هي التي تحدد هوية الخطاب الأدبي وتميزه عن غيره من أشكال الخطاب الصحفي واليومي والسياسي وغيرها.

الخاتمة :

إن الكلام على تداولية للنص الأدبي يفرض نفسه موضوعا للبحث على أكثر من صعيد معرفي، منها صعيدا اللسانيات والنقد الأدبي. والداعي إلى ذلك عدم ارتكاز أغلب المقاربات المسماة تداولية على آليات معرفية تخولها توظيف نظرية في المعرفة لتحليل الإبداع الأدبي. ولتحليل معالم الإبدال المعرفي الممكن إرساءه في هذا الشأن لا مناص من تأصيل التداولية في مهادها الفلسفي من جهة، كما ينبغي تحديد سمات الأدبية في الأعمال الفنية بما يشرح أوجه التقريب الممكنة بين الجانبين. إن الكتابة والتجربة هي على الأرجح أول مرتكز ينبغي للباحث أن يستند إليه في صياغة مقاربة تداولية، وقد يلحق ذلك بعض القضايا الفرعية كالإحالة والضمني والفعل الكلامي، لكن هذه القضايا الفرعية التي أعطيت لها الأولوية فيما مضى جرّت على الفكرة التداولية نفسها تحريفا لجوهرها المعرفي أبعدها عن تحليل العلاقة بين المؤول والعلامة، ودفعها نحو منحى التحليل الإسقاطي، والقراءة النقدية التي اقترحناها هنا تعول على فكرة التجربة لإعادة بناء صورة أكثر دقة عن هذا النوع من المقاربات المأمولة.

قائمة المراجع:

1. تون فان ديك، علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، ترجمة سعيد حسن بحيري، دار القاهرة، القاهرة، الطبعة الثانية: 2005.

2. جوناثان كالر، النظرية الأدبية، ترجمة رشاد عبد القادر. منشورات وزارة الثقافة، دمشق، .2004

3. رزيق بوزغاية، كتاب التداوليات.،دار نوران للنشر والتوزيع، تبسة، الطبعة الأولى .2020

4. روبير دي بوغراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية:.2007

5. سميح القاسم، ديوان سميح القاسم. دار العودة ، بيروت، .1987

6. شوقي ضيف، البحث الأدبي طبيعته مناهجه أصوله مصادرة. دار المعارف، القاهرة، الطبعة السابعة .1992

7. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني. تحقيق محمود محمد شاكر. مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، الطبعة الخامسة: 2004.

8. عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي،دار هومه، الجزائر، .2007

9. عز الدين ميهوبي، وطن تائه. مجلة "الضاد". معهد الآداب واللغة العربية، جامعة قسنطينة،العددان 10 و11، دار الشهاب، باتنة.

10. علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، المكتبة الخيرية، القاهرة، الطبعة الأولى: 1306 هـ

11. فرانك بالمر، علم الدلالة إطار جديد. ترجمة صبري إبراهيم السيد. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، .1995

12. فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان. ترجمة صابر الحباشة. دار الحوار، سوريا، الطبعة الأولى .2007

13. محمد الطوبي، عروس القرنفل. مجلة الرواية. العدد الأول السنة الأولى جانفي 1990.

14. محمد بن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب اله وهاشم محمد الشاذلي. دار المعارف، القاهرة .

15- Charles S. Pierce, Philosophical writings. Selected by Justus Buchler. Dover Publications, INC New York, USA.

16- Françoise Armengaud, La pragmatique. PUF, Paris, 4eme éd, 1999.

17- Jean Dubois, Dictionnaire de Linguistique. Larousse, Paris 1999.

18- Michael Riffaterre, Semiotics of poetry. Indiana university press , Bloomington 1978.

19- Michèle Perret, L'énonciation en grammaire de texte. Armand Colin, Paris, 2005.

20- M. Randall, Contexte et cohérence. Essai de pragmatique littéraire. Études littéraires, vol 25 (n1-2), 1992.

21- Patrice Maubourguet et autres, Le petit Larousse. Ed Larousse, Paris, 1996.

22- Roman Jakobson, The framework of language. Library of Congress , USA.

- Zellig Harris, Papers in structural and transformational 23 linguistics. D. Reidel publishing company, Dordrecht HOLAND , 1970.

الهوامش

[1]- روبير دي بوغراند: النص والخطاب والإجراء. ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية:2007، ص 83.

[2] - Charles S. Pierce: Philosophical writings. Selected by Justus Buchler. Dover Publications, INC New York, USA.

[3]- إن الأحكام الجاهزة على أطر النقد القديم كالبلاغة ومناهج السياق الحديثة كالتحليل الاجتماعي لا يخدم البحث العلمي في شيء، ولا يعكس القيم المعرفية التي انطوت عليها تلك العلوم القديمة والمناهج الدراسية الحديثة، ولعل مقاربة ثقافية شاملة تتناول تلك المعارف في إطار ظروف نشأتها يكون أقرب إلى التوصيف العلمي.

[4] - Françoise Armengaud: La pragmatique. PUF, Paris, 4eme éd, 1999, p 4.

[5] - لمزيد من التفصيل في هذه القضية يرجى مراجعة رزيق بوزغاية: كتاب التداوليات. دار نوران للنشر والتوزيع، تبسة، الطبعة الأولى 2020، ص 113.

[6] - علي بن محمد الجرجاني: التعريفات. المكتبة الخيرية، القاهرة، الطبعة الأولى: 1306 هـ، ص 21.

[7]- يرجع تون فان ديك، وهو أحد أعلام علم النص نشأة هذا العلم إلى سبعينات القرن العشرين، في كتابه علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات) ترجمة سعيد حسن بحيري. دار القاهرة، القاهرة، الطبعة الثانية: 2005، ص 14.

[8] - Michael Riffaterre: Semiotics of poetry. Indiana university press , Bloomington 1978, p 2.

[9] - شوقي ضيف: البحث الأدبي طبيعته مناهجه أصوله مصادرة. دار المعارف، القاهرة، الطبعة السابعة 1992، ص 9/ 10.

[10] - جوناثان كالر: النظرية الأدبية. ترجمة رشاد عبد القادر. منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2004، ص 27.

[11] - انظر مثلا الدلالات التي أوردها ابن منظور للأصل "نصص"، وكلها أو أغلبها يحمل هذا المعنى: محمد بن منظور: لسان العرب. تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب اله وهاشم محمد الشاذلي. دار المعارف، القاهرة ص 4441 / 4442.

[12]- أصل الكلمة من اللاتينية "textus" بمعنى النسيج، انظر مثلا الدلالات التي أوردتها الموسوعة الفرنسية : Patrice Maubourguet et autres : Le petit Larousse. Paris, 1996, p 1004.

[13] - الثقافة عند زليغ هاريس هي كل ما يقع خارج نسق الخطاب ويؤثر فيه في الوقت ذاته: Zellig Harris : Papers in structural and transformational linguistics. D. Reidel publishing company , Dordrecht HOLAND , 1970 , p 313 / 314 / 315.

[14]- هذا ما يدعوه عبد المالك مرتاض "النص الخادج"، والخداج في العربية يعني غير تام : مرتاض : نظرية النص الأدبي. دار هومه، الجزائر، 2007، ص 356.

[15] - Randall, M. (1992). Contexte et cohérence. Essai de pragmatique littéraire. Études littéraires, vol 25 (n1-2), p 103. https://doi.org/10.7202/500999ar.

[16] - Randall, M. (1992). Contexte et cohérence. Essai de pragmatique littéraire. Études littéraires, vol 25 (n 1-2), p 103. https://doi.org/10.7202/500999ar.

[17]- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني. تحقيق محمود محمد شاكر. مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، الطبعة الخامسة: 2004، ص 262.

[18]- قد يكون هذا من الأخطاء العلمية التي وقعت فيها الدراسات الدلالية الحديثة في العالم العربي، وهي للأسف شائعة بين الدارسين، ويعود هذا رأسا إلى النقل المباشر عن بعض الدارسين الأوربيين من دون تمحيص، انظر مثلا فرانك بالمر : علم الدلالة إطار جديد. ترجمة صبري إبراهيم السيد. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص 24 / 25.

[19]- التسييق في الدراسات اللسانية الحديثة يعني إيراد المفردة في السياق.

[20] - R. Jakobson : The framework of language. Library of Congress , USA, p 81.

[21] - Jean Dubois : Dictionnaire de Linguistique. Larousse, Paris 1999, p 404.

[22]- سميح القاسم : ديوان سميح القاسم. دار العودة ، بيروت، 1987، ص 453.

[23]- مرجع سابق : Zellig Harris : Papers in structural and transformational linguistics. p 313 / 314 / 315.

[24]- من التعميمات الخاطئة تسمية العوامل الخارجية سياقا، لأن السياق في اصطلاح العرب أو في اصطلاح اللسانيات والأنثربولوجيا هو النص في الأصل، وقد توسع بعد برونيسلاف مالينوفسكي ليقصد به النص والمقام معا، أما إيراده لمعنى المقام فلا يعد توظيفا غير دقيق.

[25] - عز الدين ميهوبي: وطن تائه. مجلة "الضاد". معهد الآداب واللغة العربية، جامعة قسنطينة،العددان 10 و11، دار الشهاب، باتنة، ص 143.

[26] - محمد الطوبي: عروس القرنفل. مجلة الرواية. العدد الأول السنة الأولى جانفي 1990، ص 162.

[27] - تعتبر لسانيات التلفظ "linguistique de l'énonciation" أكثر فرع لساني اختص بدراسة الإحالة الزمنية في الخطاب، ولذلك اندرج هذا الفرع ضمن الدراسات التداولية، انظر مثلا : Michèle Perret : L'énonciation en grammaire de texte. Armand Colin, Paris, 2005, p 81.

28 - قد يكون لمصطلح "واقعي" مفهومان: أحدهما نقدي يقصد به أن تشابه بنية العناصر في النص بنية الواقع من دون اشتراط أن تكون الأحداث قد وقعت فعلا، وأن تكون الشخوص أفرادا موجودين في الواقع، والثاني برجماتي يقصد به أن تكون الشخصية المذكورة في النص شخصا حقيقيا موجودا في العالم. وهذا المعنى الثاني مقصودنا هنا.

[29] - فيليب بلانشيه : التداولية من أوستين إلى غوفمان. ترجمة صابر الحباشة. دار الحوار، سوريا، الطبعة الأولى 2007، ص 192.

[30] - المرجع نفسه ص 192.

[31] - المرجع نفسه ص 193.

[32] - المرجع نفسه ص 194.

النقد الأدبي البيئي من الفلسفة إلى الخطاب
دراسة نظرية في الروافد والمنهجية

Environmental literary criticism from philosophy to discourse.
A theoretical study in tributaries and methodology

أ.عبير جودت عبدالحافظ
ماجستير في اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر
البريد الإلكتروني:aa1913859@student.qu.edu.qa

الملخص:

تستهدف الدراسة الوقوف على الروافد الفلسفية والعقدية التي أسست الفكر البيئي، وخاصة في حقلٍ مهم ألا وهو النقد البيئي **(Eco-Criticis)** الذي عُدّ من النظريات الحديثة التي ظهرت في نهاية القرن العشرين؛ وكانت له إرهاصات علمية وفكرية مختلفة تنبع من أيديولوجيات وفلسفات كونت المعتقد الإنساني حول السلوك البيئي، وأبرز الأدب هذا المعتقدَ عبر مجالٍ يربط ما بين الطبيعة والثقافة، ويسعى بالعلاقات الإنسانية والكونية نحو مسار يدعو للعدالة ونبذ التراتبية، وفق مبادئ محددة، بيّنت طرائق النقد البيئي للنصوص الأدبية، أهمها ما يُعرف باستنباط الأنساق الفكرية المضمرة فيه والمتعلقة بالبيئة. وفي هذا الإطار، ومن خلال منهجية نقدية تاريخية، تكشف الدراسة عن طبيعة الفكر الإنساني وما يعبر عنه السلوك الإنساني، في مجالات تمثل تهديدًا للطبيعة، أبرزها ما يعرف بالفكر الاستهلاكي، وذلك من أجل الوقوف على الخطابات الأدبية التي تكشف عن مأزق البيئة تارة، ومأزق الاصطلاح والتطبيق تارة أخرى.

الكلمات المفتاحية: النقد البيئي، المصطلح، الفلسفة، الأخلاق البيئية، التراتبية، الخطاب.

Abstract:

This study aims to identify the philosophical and doctrinal tributaries that established environmental thought, including environmental criticism, which was considered one of the modern theories that emerged at the end of the twentieth century; It went through various scientific and intellectual precursors before its inception, in an attempt to refute the ideologies and philosophies that formed the human belief about environmental behavior; The theme of literature that links nature and culture, to negotiate between human and cosmic relations, in a path that calls for justice, and the rejection of hierarchy, according to specific principles that clarified the methods of environmental criticism of literary texts, By eliciting implicit intellectual patterns related to the environment, defining human thought and what constitutes human behavior, and spreading awareness about consumer beliefs, through analyzing literary discourse in a framework that reconsiders trends and traditions related to critical and methodological approaches, to reveal the dilemma of the terminology in various studies, and the impasse of application in Arab criticism, as it seemed to rely on stylistic and implicit analysis in understanding its spatial spaces; To show the delinquency of Arab critical works, The main objective of the ecocritical study is to Environmental awareness, and the environmental practices that language offers**.**

Keywords: environmental criticism, term, philosophy, environmental ethics, hierarchy, Discourse.

. مقدمة:

منذ مئة عام ويزيد ولا يزال هناك جدل ثقافي، يناقش الأيدولوجيات الإنسانية حول البيئة، تلك التي نعتها بيتر باري (1930-2002) بأنها "حقل لا يزال مهمشًا أكاديميًا، وحركة ما تزال تمتلك مجموعة غير معروفة بصورة واسعة من الافتراضات، والعقائد، أو الإجراءات".[1]

وبدلا من التركيز على أهمية البيئة بوصفها المورد الأول لقيام الثورة العلمية، التي أنتجت تطورًا فكريًا في المجتمع، بدت المعتقدات حول البيئة متأثرةً بماهية الحداثة، المشبعة بفكر علماني أساسه "الهوس التكنولوجي"،[2]تلك الحداثة التي تدعو إلى الاستغلال البشري المفرط للبيئة ومكوناتها، من دون تحديد أطر للعلاقة بين الإنسان واللاإنسان، وفق معايير تحفظ للطرف الثاني البيئة الحق في البقاء أمام الخراب والتدمير والانقراض.

ولأن الإنسان في حاجة إلى موارد البيئة المختلفة لبناء حضارته التكنولوجية؛ ولأن مظاهر التدمير بدت جلية بعد التطور الشامل لمجالات الحياة، أمعنت فئة من البيئيين النظر في أنماط الفكر الإنساني الحديث، لبناء رؤىً جديدة، بهدف العودة إلى السمة الإنسانية الأولى قبل التمدن، وذلك باسترجاع أخلاق بيئية تحمي مكان عيشه، الذي يشكل الأساس الأول في "ديمومته"، فبدأت المحاولات الدولية على مستوى المؤسسات والمراكز، بدراسة فكرة: المركزية البشرية(Anthropocentrism)، وتفنيدها لتحقيق

العدالة الكونية؛ العدالة البيئية(EnvironmentalJustice)، التي وصفها فولفغانغ غوته (1749-1832) بأنها "روح واحدة تسري في الأرض".[3]

وبالنظر إلى دعوة العدالة البيئية كان لابد من عقد موازنة بين ثنائيات "العقل والمادة"، و"الثقافة والطبيعة"؛ أدت إلى تأسيس فرع علمي جديد انشق عنالنظرية البيئية لمعالجة المشكلات المرتبطة بالعلاقة بين البشر وغير البشر، والأزمة البيئية والخوف البيئي، بهدف الوصول إلى حلول مناسبة من خلال دراسة الإيكولوجيا الثقافية (Cultural Ecology)، وقد عُنيت بدراسة الإيديولوجيات المولِّدة للعلاقة بين الطبيعة وكل مكوناتها والإنسان.

كما قدمت-النظرية البيئية- مصطلح الأخلاق البيئية، بالعودة لأصول الفلسفة البيئية التي شكلت الحاضنة الأولى، فتجاوز العِلم البيئوي كونه علمًا طبيعيًّا محضًا، بتقديمه دراسات تكاشف المسوغات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية التي أسهمت في الأزمة البيئية بعد الحداثة، وهو ما يستدعي تناول ثلاثة مباحث؛ أولها تنامي مفهوم النظرية البيئية تاريخيًا، وثانيها يسلط الضوء على المهاد التنظيري الذي تقاطعت فيه النظرية الأدبية مع الأيديولوجيا فشكّلا مهادًا تنظيريا وبيئة منهجية سمحت للنقد البيئي بالتشكل والحضور، ثم ثالثها يتعلق بالنقد البيئي ومأزق الممارسة ولا سيما في مجال المشهد النقدي العربي، وهو ما يتضح في محاولة الوقوف على معطيات (النظرية النقدية البيئية) في المباحث الآتية:

أولاً: الرافد الفلسفي من مركزية الإنسان إلى المركزية الحيوية:

إن تأمل الفلسفات القديمة التي شكلت المصدر الأساسي للأفكار الإنسانية والمجتمعية والسياسية الحديثة، يقود إلى قدر من التباين، اختلفت فيه مظاهر الفكر والمنطق باختلاف الزمان والمكان اللذين ينتميان إليه، ومن أولى الفلسفات ما نُقل عن بروتاجوراس(411-481ق.م)[4] باعتقاده أن الإنسان هو أساس القياس لكل شيء، وبهذا المبدأ تأسست فكرة التراتبية، وأيده بذلك سقراط (399-470ق.م)[5] فيما عبّر عن ذلك بوضوح في مقولته "اعرف نفسك بنفسك ودع الطبيعة للآلهة تعرفها"؛ مُقرًا بضرورة الاهتمام والتعرف على النفس الإنسانية، وترك علوم الطبيعة، ويشير هذا إلى أحد الرأيين؛ إهمال الطبيعة، أو استغلالها للمعارف البشرية، وفي كليهما ثقافة تدعو إلى المركزية الإنسانية على حساب البيئة وباقي مكوناتها.

أما أفلاطون (348-428 ق.م) فقد قدم في كتابه (الجمهورية) ترتيبًا للفئات البشرية من دون النظر إلى غير البشر، واصفًا الطبيعة بأنها صورة باهتة عن العالم الحقيقي؛ لذا لم تكن البيئة موضع اهتمامه؛ إذ دعا الإنسان إلى التحرر، بغية الالتحاق بالعالم الحقيقي، عالم المُثل، وصنّف أفلاطون الرجل الحر في رأس الهرم الحياتيّ، لكنه أمره بالتزام الفضيلة والأخلاق المحاكية للعالم المثالي. وقد دفعت سطوة اليوتوبيا أفلاطون إلى الإقرار بقلة فائدة الطبيعة، وعدم جدواها في تقديم المعارف العلمية التي يحتاجها الإنسان؛ لذا فقد أهمل الطبيعة. وأشار في سياق محاوراته قائلًا: "لتكن

سمحًا معي يا عزيزي، فأنا أحب العلم؛ لكن الريف والأشجار لا ترضى بتعليمي شيئًا، بل رجال المدينة هم من يعلمونني".[6]

ثم أيّده تلميذه أرسطو (322-384 ق.م) في توافق فكري للفلسفة الأخلاقية، والعقلية التي تدعو للخير، والفضيلة، بشكل من الهيراكلية والتراتبية بين المخلوقات، على سبيل النفعية، فوضع الأدنى مسخَّرًا في خدمة الأعلى، مُصنفًا "الإنسان" في رأس القمة وأعلاها[7]، ولم يكتف أرسطو بذلك، بل صرّح في كتابه: "السياسة" أنه من حق الإنسان باستغلال[8] الموارد الطبيعية في البيئة؛ ليكون أول من أسس لفكرة الاستغلال.

وبالرغم من أن مفهوم الاستغلال عند أرسطو دلّ على دعوة لحفظ النوع والبقاء الإنساني، فإنه فُسر بمعانٍ أخرى، مدفوعة بالسياق الزمني الذي فسرت به، فأسهم التأويل في العصر الحديث في تحديد مصطلح الاستغلال الأرسطيّ، والوصول به إلى معتقد فكري يحمل مبادئ المركزية الإنسانية. وترسخت، لدى كل من أفلاطون وأرسطو، فكرة استغلال الأرض ومواردها؛ لأنها مُسَخَّرة للإنسان صاحب السلطة الأعلى في الأرض، وبالرغم من أن الفلسفة اليونانية قدمت مبدأ الفضيلة ومحاكاة عالم المُثل، فإن فكرة الاستغلال لم تُوظف بقانون واضح يُظهر نبذ الإسراف، على اعتبار أنه مضاد للفضيلة القائمة على الأخلاق؛ لتظهر المفارقة في ما قدمته الفلسفة اليونانية، بجمعها بين الفضيلة والتراتبية، سواء أكان بين البشر نفسهم، أم كان بين البشر وغير البشر؛ لينتج عن هذا الفكر مبدأ المركزية البشرية التي نالها الإنسان بتفرده بالعقل المحقق للفضيلة، فأسهمت بذلك في بناء لبنات

الاتجاه السياسي للرأسمالية،[9] وهو ما عُد لدى بعض النقاد تفسيرًا ذا نظرة سطحية في التحليل الفلسفي للفكر اليوناني، ودعوا إلى تفنيد أقوالهم، ودحضها، على اعتبار أن الفلسفة اليونانية قدمت الإنسان بشكل موازٍ للبيئة، لما وصفوه بأن الكون إلهيّ له العقل والقداسة.[10]

وبعقد مقارنة بين الرأيين، فإن ثمة تشابهًا في كليهما يكمن في تميز الإنسان بعقله، وأما الأول فبيّن ما آلت إليه نظرة الاستعلاء، وفرص الاستغلال، وتقسيم المهن وأجناس البشر، ليصل للمركزية، وأما الرأي الثاني فقد أقرّ بالمساواة بين الكائنات، ولعل الرأي الأول هو الأكثر ترجيحًا، لأن ما آلت إليه البيئة من دمار وانهيار، يفيد بأن المعتقد السائد بين الناس يمثل الرأي الأول لا الثاني.[11]

وفي المقابل هناك فلسفات عززت دور البيئة وأهميتها؛ فقد اتصفت الفلسفة الإغريقية بالوضوح بدعوتها إلى تَبَني مبادئ التكافؤ بين المخلوقات، أما الفلسفة الفيثاغورية فقد اختلفت عن باقي الفلسفات، بمنحها القيمة للكائنات عامة، في توافق مع مبدأ التناسخ الذي آمنت به، من غير النظر في مبادئ الأخلاق البيئية.[12]ومثلها الفلسفات التي اعتمدت طُرُقًا روحية لتفسيراتها الفكرية: مثل الفلسفة البوذية زِنْ (Zen Buddhism)، إذ أجازت إمكانية "الاستنارة"المتدرِّجة أو المفاجئة، لتطهير الذهن والاتحاد مع الكون. وقد تبنى اليابانيون هذه الفلسفة، التي تحث على الشعور بالجمال والتلقائية؛ لذا اختلف سيرهم الفكري عن المسارين الأمريكي والأوروبي، المعاديين للطبيعة باستغلالها والتعالي عليها.[13]

وعلى الرغم من التمايز الذي ظهر بين الفلسفات، فإن كل فلسفة حظيت بأتباع يدافعون عن انتماءاتهم، وما فيها من فكر انعكس على الجانبين الاقتصادي والسياسي، ومن البيئيين الرافضين لفلسفة الهيمنة والمركزية البشرية، شارلز مارغريف تايلور(1931...) الذي قدّم نقدًا للفلسفة اليونانية وفكرها الاستبدادي،كما فنّد التفكيكّي جاك دريدا (1930-2004)الأفكار التي دعت للسمو والاستعلاء البشري عن غيره من الكائنات[14]، دفاعًا عن المركزية البشرية.

وفي هذا الإطار التأصيلي للفكر الإنساني، لابد من ذكر الآراء الدينية لارتباطها الوثيق في تحديد المواقف الفكرية، فقد ظهر أثر الديانتين المسيحية واليهودية في الناس، ومن خلال آراء القديس توما الأكويني(1225-1274) التي تركت بصمةً في معتقدات القارتين: الأمريكية والأوروبية، في تفسيره لآيات من العهدين تفيد بتبرئة الإنسان من أي عنف يوجهه للموجودات على الأرض، على اعتبار أنه المتحكم بها والمسيطر عليها[15]؛ لذلك لم ينادِ رجال الدين بضرورة الحفاظ على البيئة من الاستنزاف والإفراط، والعنف، لاسيما بازدهار المجال الاقتصادي؛ مما أنتج فكرًا ديكارتيًا،يتقاطع مع الفكر (الأفلاطوني والأرسطي)، بمفاضلة الأنا (الإنسان) عن اللاأنا؛ وذلك لأن الإنسان يملك روحًا تخلد رغم فناء جسده.[16]

كما وردت في الصحاح الأول من سفر التكوين عبارة "... فيتسلطون على سمك البحر..." وغيرها من العبارات التي تحمل معنى التسلط والتعالي،

عملت على تمكين فكريّ يتمثل في حق الاستبداد، وحق العقاب باعتباره أداة الله في الأرض، فتكونت ثقافة الفوقية البشرية على الفوقية الإحيائية.[17]

وعلى النقيض من الفكر الفلسفي المسيحي، ظهر الفكر العربي المُحمل بالموروث الثقافي والديني، المُرتكز على مبادئ الأخلاق السامية في الدين الإسلامي، تلك التي حددت الحقوق والواجبات، والعلاقات بين الإنسان والآخر بجميع فئاته، إذ يقول تعالى: "من كل شيء موزون" -سورة الحجر آية: 19-، ليؤكد أن الخلق قائم على الوزن والعدل والتنظّيم، والخَلق في العُرف الإسلامي يشمل كل مكونات البيئة المكانية والإحيائية، وبهذا التصريح الإلهي ثمة توافق له صداه في "فلسفة الأخلاق البيئية "الحديثة.

وبتتبع نشأة الفلسفة البيئية الحديثة؛ فإن أول من تبنى مرحلة التغيير الفكري- إن صح القول- هو آرني نايس(1912-2009)، في كتابه "الإيكولوجيا والمجتمع وأسلوب الحياة" عام 1986، تأثره بمعتقدي باروخ اسبينوزا(1623)، وغاندي(1869-1948)المنادي للحكمة، وتحقيق الذات للبشر، وتبعه الناقدان آرني نايس، وسنايدر (1930-...).[18] أما بيتر بارغ(1926-2006)، ورايموند دايسمان(1915-1942)، فقد أسسًا لمذهب: (جناح المتمركز الإيكولوجية)، ليتتبعهما الأسترالي وريك فوكس مؤلف كتاب "نحو إيكولوجيا عبر شخصية" عام (1990).[19]

فانعكست آراء الفلاسفة على التوجهات الإنسانية المختلفة في المجتمعات، وفقًا لثقافاتهم وبيئاتهم السياسية، فتبنَّت العلمانية الفلسفة الرومانية، وفلسفة زارادشت (650 ق.م) المؤيدة للرؤى المسيحية واليهودية،

بالإيمان بزوال العالم، بينما تبنَّى النازيون والشيوعيون والسكان الأصليون لأمريكا، والمسلمون، مبادئ التأقلم البيئوي.[20]

ومن أهم الفلسفات المعارضة للفلسفة اليونانية، ما قدمه نيتشه (1844- 1900) في كتابه "أفول الأصنام"، إذ عدّ الأخلاق المُلقنة تسير عكس الفطرة السليمة للإنسان.[21] إلا أن فلسفة الحداثة، كان لها تأثير في الفكر البيئي عند الإنسان العصري، الذي انشغل بالفضاء الافتراضي الصانع لفجوة كبيرة بين الحقيقة والواقع الفائق، الذي أشار إليه إمبرتو إيكو(1932-2016)[22] في مقالته: "رحلات في الواقع الفائق 1975"، مُنبهًا إلى تضخم الأزمة وضرورة نشر ثقافة الوعي البيئي الحقيقي المماثل للواقع؛ بما فيه من مشكلات وأزمات في محاولة لتعديل المسارات الفكرية والأخلاقية.

كما قدّم الفيلسوف تايلور نقدًا للمركزية الإنسانية التي صنعت الفجوة بين الإنسان وغيره من الكائنات، مؤسسًا لمفهوم المركزية الحيوية (Biocentrism)[23]، المناهضة للأطروحة اليونانية، التي عدّت الإنسان المقياس والميزان للمعاملات الحياتية، ثم قدم نقدًا للنظرة المسيحية التي توافقت مع الفلسفة اليونانية بترسيخ المركزية البشرية، التي أضفت على فكرة "قدسية الإنسان" هالة عقائدية، بما سبغتها به النصوص الدينية المؤيدة لسمو الإنسان على عالمه الطبيعي عن باقي الموجودات، مبينًا أن تغيير المعتقد التسلطي المتعالي لا يمكن إلا بدافع ديني، وقد نقل ماكس أولشليجر دعوة يؤكد فيها ضرورة نشر الوعي المتمركز حول البيئة في المجتمعات الديموقراطية،[24] لذا انصبّت الجهود الدينية في إعادة تأمل النصوص

المبررة للعدالة البيئية، وفي اهتمام الدين بمكونات البيئة، من دون السعي لتأصيل فكر جديد، بأنساق ثقافية تخدم الأزمة البيئية.

وأخيرًا، نقدت المركزية البشرية في الفلسفة الديكارتية، بوصفها وريثة الفلسفة اليونانية، في نظرتها الاستغلالية والنفعية البحتة للبيئة، بهدف الرفاهية، من خلال الوصول إلى أكبر عدد إنتاجي من المصنوعات،[25] محددًا العلاقات الأساسية في العالم القائمة على الحرب والسيطرة والمُلكيّة، إلا أن رينيه ديكارت(1596-1650) اختلف مع الفلسفة اليونانية في أن العقل منحة للإنسان، دون غيره من الكائنات التي عدّها آلات فحسب. وبعد اطلاع تايلور للفكر الداروني، الذي وصف عمل الكائنات لوظائفها البيولوجية بطريقة طبيعية خاضعة للصدفة، وبين النظرة الغائية اليونانية، والآلية الديكارتية، والسلطة المسيحية، والمصادفة بغير قصدية الدارونية، سعى تايلور إلى استبعاد الفوارق البيولوجية، وأطلق رسالته في تأسيس المركزية الحيوية، لإثبات جوهر الوعي عند الكائنات الحية، في محاولة لنفي وصفها بالآلات، وفي رفض مبادئ التعالي الإنساني وسموه عن غيره، ودعوة للوحدة العضوية بين الكائنات. فقد عزَا تأسيس النظرية الآلية الحديثة، التي تسربت إلى الفلسفات في القرن السابع عشر بادعاءات ديكارت، ساعيًا لتأسيس مفاهيم سليمة ودقيقة حول الأخلاق البيئية، التي تكافئ بين الكائنات وتلغي مبدأ الجوهر المفكر المُميز للإنسان، في بيان الثنائية الأساسية له: النفس والجسد.[26]

وثمة تقاطع فكري بين القصدية الديكارتية بدعوتها لحضور العقل في فهم المعارف والعلوم، والظاهراتية أو الفينومينولوجي لإدموند هوسرل (1859-1859) في استحضار الوعي الإنساني الجمعي والفردي لفهم الظواهر الاجتماعية، وتأسيس علم الإيكوفينومينولوجيا المَعني بدراسة البيئة، فإن الفلسفتين قدمتا رؤىً لمنظومة أخلاقية تُعنى في القضايا البيئية بتحديد إشكالية المركزية البشرية ضمن ثنائية الواقعي والقيمي.[27]

وبعد هذا القيد الذي مارسته الفلسفات المختلفة في تأييد أحد مكونات البيئة من جهة، وسبر أغوار السلوك الإنساني من جهة أخرى، دعت الفلسفة الحديثة لتبني أفكار مختلفة، كان أولها يدعو للمغالاة في الحفاظ على البيئة، برفض الاستفادة من مكوناتها وخيراتها، أو للدعوة لتقليل عدد السكان وفقًا لنظرية: "المالثوسية"[28]، أما الرأي الثاني فقد تميز بالوسطية، والعدالة في الحكم، من دون الاستبداد بطرف من الأطراف، إذ يرفض الاستهلاك الإنساني المفرط، والاستعلاء المسيطر لأهداف الترف والرفاهية، بالمقابل ظهر طرف ثالث يرفض آراء حماة البيئة المبالغة في الدفاع عن الطبيعة في إخلال لحق الإنسان في موارد الطبيعة، ويُعد منظمات حقوق الحيوان والنبات والمكونات البيئية من "الترف الفكري،"[29]لذا كان لابد من الوصول لرأي "فلسفيّ يوفق بين الاقتضاءين البيئي والإنساني، من دون أن يضحي بطرف لحساب الآخر".[30]

ومما سبق، يتبين أن الروافد الفكرية الفلسفية تأسست وفقًا لثلاثة محاور رئيسة[31]؛ "الإنسية اليونانية الكلاسيكية، والثنوية الديكارتية، والمعتقدات الدينية المسيحية واليهودية، تلك التي أسست اللاوعي الفكري المسيطر على الأيدولوجيات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية؛ لذا بدا من الضروري التوصل إلى علم يُمكّن الوعي الإيكولوجي في الفكر المجتمعي والسياسي؛ لينعكس على الطابع الدرامي في العمليات الإنسانية بمختلف معاملاتها، وعلاقاتها،محاولةً للعودة إلى الفطرة البدائية؛ الإيكولوجية، التي تؤمن بأن الأرض ظاهرة شبكية معقدة العلاقات، بما ينفي الأفكار التي قدمتها الديانتان اليهودية والمسيحية في المركزية الإنسانية.[32]وبهذا السياق تشكلت العناية بالثقافة البيئية، في وعي مرتبك حيال الأخلاق البيئة المشوهة الخاضعة للفلسفات التراتبية، سعيًا لحل الأزمة الفكرية البيئية.

ثانيًا: الفلسفية البيئية اتجاه مضاد لفلسفات ضد البيئة

كان للروافد السابقة أثرٌ واضح في تكوين إرهاصات فلسفية لاتجاه في النقد البيئي،يعبر عنه القول الشهير:"الكل أكثر من مجموع أجزائه المكونة"[33]؛فكانت هناك أفكار ومحاولات نقدية مختلفة تراوحت بين النقاد وفقًا لتصنيفاتهم؛ قد أسست الفلسفات المختلفة ثقافات أسهم بعضها في مشكلات بيئية، وربما كان هذا أهم الدوافع التي تسببت في وجود علم إيكولوجيًا بنظرة مضادة لهوس الاستهلاك والاعتداء على الطبيعة، بُنيت على أسس ومنظورات فلسفية لخصها جرارد.[34] في مسميات ثلاثةهي:

الايكولوجية السياسية والاجتماعية، الايكولوجية العميقة أو الجذرية، والايكولوجية النسوية.

غير أن مايكل زيمرمان[35] قسَّم الفلسفة البيئية إلى ثلاثة حقول كان أولها حقل الأخلاق البيئية، أما الحقل الثاني هو الإيكولوجيا الجذرية، التي تتضمن، مفهوميّ الإيكولوجيا العميقة deep ecology، المضادة لمفهوم "المركزية البشرية"، وبين النسوية الإيكولوجية المضادة لمفهوم البطريركية والتراتبية، والحقل الثالث هو الحقل الإصلاحي الذي يوازن بين المركزية البشرية والممارسات الاستهلاكية، عبر سنِّ القوانين المناسبة.

وتكاد تكونالموجة الأولى للنقد البيئي مكوّنةً على يد"هنري دافيد ثورو وجون موير وماري أوستن وإدوارد آبي ووندل بيري واني ديلارد، ممجدين بسبب نوعية خيالهم البيئي"[36] الذي يحملقيمة تعليمية للطبيعة بهدف تعديلا الميراث الأدبي الرعوي القديم القائم على فكرة التعالي. في حين انشغلت الدراسات النقدية البيئية في بريطانية بتسليط الضوء على الشعر فيما سُمّي بالإيكولوجيا الرومانسية مثل: ووردزورث، والتراث البيئي(1991)، الملقب بشاعر البحيرة، وروبرت فروست، شاعر البلد الكبرى، "وأنشودة الأرض(2000)، في محاولة لفهم الكون فيما نعته جوناثان بيت (1958..) "فكر الهشاشة"[37].

ومن الرواد أيضًا ثورو، ووالدن وودز، اللذان قدما أعمال الشاعر الروماني جون كلير، وفسرا الظواهر الطبيعية في أشعاره بتحليل بيئي يدعو للمساواة مع الطبيعة لا أنسنتها، فقد تأثر ثورو في فكره بالفلسفة البوذية

التي دعت للمساواة، والأمر كذلك مع لين رايت مؤلف كتاب "التاريخية لأزمتنا البيئية"، ثورو الذي رفض" أنسنة العالم"[38].

واتسم النقد البيئي بـ"التهديدية"، التي عكست عمليات الاستيطان، أو الهجرة، أو الرفاهية، وغيرها؛ لذا دعا النقاد البيئيون إلى العناية بالوضع الاجتماعي والنقد النسوي نتيجة دراسة الأزمة البيئية ومحاولةً للتغيير الاجتماعي؛ فظهرت وجهات نظر في الاشتراكية الايكولوجية تعزو كل ما يحدث في الطبيعة إلى السياسة، وبذلك غير جو كلاركمسى الايكولوجية الاجتماعية ليصبح مصطلح (الإيكولوجيا السياسية)، إذ ارتبطت بتقويم النزعة الإنسانية والثقافية والأخلاقية عند البشر، وقارن بينها وبين الأخلاق البيئية[39].

فجاء الأدب الرعوي في أميركا وأوروبا وغيرها من الدول ليعبر عن الأيدولوجيات السياسية[40]، في فكرة الترويج للزراعة التي ارتبطت بتواس جيفيرسون، أما في الأعمال البريطانية فقد ظهرت الرعوية من خلال حث الرجال على القتال في الحرب العالمية بدعوى المفاهيم الرومانسية المرتبطة بالوطن والدفاع عنه، في ملمح سياسي خطير المنطق والفكر على حد سواء[41]ليظهر فيما بعد دور النقاد مع الرؤى النسقية في الأعمال الأدبية والخطابية للوصول للعدالة وحل أزمتي الأخلاق والبيئة.

وباعتماد الأخلاق البيئية معيارًا أساسيًا في تحدي معتقدات المركزية البشرية [42]؛ تتحرّر البيئة من النفعية البشرية وتمنح قيمةً، عبرت عنها مؤلفاتالإيكولوجيا الاجتماعية التي بدأت في الحقل الاول بكتاب "يوم

الأرض"(1970)، ليعمل الإيكولوجيون مع الاجتماعيين والماركسيين والتفكيكيين وما بعد الحداثة لبناء الايكلوجية العميقة والاجتماعية في دعوة للعدالة[43].

أما في الحقل الثاني الذي نشأ منشقًا عن الإيكولوجيا الاجتماعية، بمنحاه الجذري في توليد مصطلح جديد، سمي بالجذري، لما قدمه رواده الفلاسفة من تحليل اعتمد على الفهم للثقافة والأوضاع الاجتماعية والسياسية المرافقة لمفاهيم البيئة، كما أنهم تسببوا في الانزياح الثقافي الذي أسهم بتقديم محاولات إنقاذ للعالم من الخراب،ومع ثورة الستينات ظهرت الإيكولوجية العميقة التي نسبت أسباب الأزمة البيئية إلى ثقافة المركزية البشرية، بوصفها نظرة الإنسان المتغطرسة بالتعامل مع من حوله من الكائنات ليلبي حاجاته ورغباته وطالبت بتغييرها إلى المركزية الإيكولوجية، أو حركة البيئة العميقة، التي عبر عنها نايس بمصطلح "الايكولوجيا الشخصية" متأثرا بالدعوة إلى الحكمة الإيكولوجية لدى تسبينوزا وغاندي[44].

وكان للتحاور الخطابي بين الأيكولوجيين أثر في نبذ المذهب المتمركز حول الإنسان واستبداله بالمركزية البيئة، تطبيقًا للعدالة البيئية، مبينين أهمية الوعي بحضور الطبيعة، وتتبع تطور انخراطها في الخيال البيئي. بإعادة النظر في النظرية النقدية، ودراسة الأدب البيئي، الذي أظهر تشابكًا معقدًا في العلاقات بين الطبيعة والسياسة والحالة الاجتماعية والجنسية، بدراسة في "الأنسجة الداخلية،مثل: ما بعد الرعوية، الكتابة الجديدة عن الطبيعة، والشعر البيئي"[45]، بهدف تحول الرواية الحديثة لكتابة حقيقية للطبيعة،

تتحرى الأزمة البيئية الحقيقية في التراتبية لا بين البشر وغير البشر فحسب، بل في العلاقات المعقدة بين الذات والآخر، والعالم، والطبيعة، ومكوناتها، في محاولة حقيقية لتجنيد كتابة الطبيعة والنقد البيئية معا للوصول إلى عالم آمن يحقق السلام والرفاهية للجميع.

من هنا، جاءت أهمية دراسة الإيديولوجيات المهيمنة للجندرية، والطبقية، والعرقية، والنسوية، والممارسات البشرية في ما بعد الكولونيالي، من منظور الدراسة النقدية البيئية؛ لذا كتبت كارين ج. وارين في النسوية الإيكولوجية،محاولةً حل الأزمة البيئية البطريركية (النظام الأبوي) في ثقافته البنيوية للمجتمع، الذي يستغل المرأة على اعتبارها الطبقة الثانية بعد الرجل.

لقد لعبت الحركات المختلفة في النقد البيئي دورًا مهمًا في وصول النظرية النقدية البيئية لمبادئها ومعاييرها، التي شملت لمفاهيم تسعى إلى حل جذري في حل الأزمة البيئية، بمفهومها الشامل لكل جوانب الحياة البشرية، التي ظهر فيها الخلل والاضطراب والتصدع، حيث تمثل الأزمة التعقيد لتشابك مكوناتها، ولارتباطها بالثقافات البشرية المختلفة، وعاداتهم الاجتماعية المتباينة؛ لذلك كان لابد للإنسان أن يجد حلاً جذريا للمشكلة التي كان هو أساس وجودها، فكان مفتاح النجاة الأول هو الأخلاق البيئية، والالتزام الأخلاقي، وفقًا لمعايير قانونية تضمن حقوق جميع الكائنات، ونبذ مفهوم "المركزية البشرية" التي تؤثر في جميع العلاقات البشرية بعضها ببعض

من جهة، وبينها وبين البيئة ومكوناتها من جهة أخرى. في محاولات جادة للإصلاح والتطوير وفقا لأيديولوجيات جديدة.

فقد ظهر الترابط بين النقد البيئي وما قدمته النصوص والخطابات الأدبية في مؤلفات الطبيعة، التي بيّنت علاقة الإنسان بالأرض، والزمان والمكان، ومكونات البيئة، البيئة، في ضوء قراءات نقدية منوعة تراوحت بين الدراسة الثقافية، والاجتماعية، والنفسية، والتأويلية، والجمالية، والتخييلية، والتاريخية.

ثالثًا:الثقافة الأيدولوجية وتجليات النقد البيئي:

إن تبني الآراء الفلسفية والدينية أدى إلى تضاعف النشاط البشري نحو الاستهلاك، وتزايد ذلك مع التطور الصناعي والثورة التكنولوجية، وازدياد النمو الديمغرافي الذي جاء على حساب الموارد الزراعية، الذي نعته القس أندريه دوما بـ"رعاة البقر المخربين"، في إشارة ساخرة تطعن في الاستهلاك الأمريكي مقارنة بالاستهلاك الهندي[46] وبهذه المقارنة يظهر جليًا أثر المعتقد الفكري في السلوك البشري بين التراتبي واللاتراتبي.

لذا تعددت أصوات النقاد في بداية تكوين الثقافة البيئية، وفقًا لاختلاف اتجاهاتهم، فمنهم من نادى بدراسة البيئة بوصفها علمًا[47]، مثل عقلاني التنوير، ومنهم من قدّس الطبيعة[48] كما ظهر ذلك في الشعر الرومانسي، ومنهم من حمّل نفسه القلق حيال ما تؤول إليه البرية نتيجة للتضخم بأشكاله، ومنهم من وصف النقد البيئي بالنزهة، كما نعته ثورو[49] في دلالة على التضخيم، غير أن غيلين لوف، ربطها بالقضايا الأخلاقية،

فتكوّنت الثقافة البيئية (الإيكولوجيا الثقافية)، التي تبعها رواد يدافعون عن النظرية البيئية، وينادون بتعجيل إيقاف الهمجية الاستهلاكية، على عدة أصعدة تمثلت: بالصعيد السياسي الذي ناقش المشكلة العلمية بوعي قانوني، والصعيد الاجتماعي المنادي بتغيير المفاهيم الاستهلاكية المدمرة ببناء فكر موضوعي، بالإضافة إلى الصعيد الثقافي والأدبي اللذين قدما فهمًا للخطاب البيئي ومجازاته البلاغية، بعمق نسقي يوضح آثاره في استجابة الجمهور.(50)

وبهذا أسهمت الفلسفة في امتزاج عِلم البيئة مع مجالات مختلفة،كعلوم السياسة والثقافة؛ ليحمل- إلى جانب كونه علمًا طبيعيًا- مفاهيم سياسية، كذلك حمل ملامح ثقافية انعكست على الفنون، والإعلام، والأدب، والموسيقى، والأفلام، بالإضافة إلى العمارة،(51) فعكست الأعمال الفنية العلاقات الإنسانية المفعمة بثقافات هراركية في الخطاب السام(52)، تلك التي تكوّنت بواكيرها منذ العصر الإغريقي، ولا سيما مع توظيف الأدب للاستعارات المركزية عن الطبيعة؛ ليكون الأدب حليفًا للبيئة في ثالوث متداخل العلاقات: النص/ الأفكار/ الأزمة البيئية.(53)

فاهتمام العالم في الآونة الأخيرة بالبيئة، علميًّا، وثقافيًّا ومجازيًّا، بعد تصريح لورانس بويل (1939) بأهمية البيئة كونها مكان عيش الإنسان ووجوده، وبتطور النظرة التفسيرية في العقد الأخير من القرن العشرين، متأثرةً بالحالة السياسية التي شكلت شعور الإنسان بالخوف نتيجة التهديد الحيوي في العالم.(54)

وقد أشار كينث بيرك (1897-1993) في (مواقف اتجاه التاريخ 1937)، إلى علم نعته بالصغير الرقيق: هو علم الإيكولوجيا (علم البيئة)، مسلطًا الضوء على أهمية العلاقة بين الطبيعة والثقافة، بهدف نشر الوعي الاقتصادي، موظفًا المصطلحات التي مثلت عمقًا معرفيًا في "التفكير الأخضر، مثل:"بلاغة الرواية، العمى والبصيرة، قلق التأثير، السرد كفعل اجتماعي"، مفسرة أثر الأدب الهزلي، والثيمات الشعرية، في مهاجمة الهوس الاستهلاكي، بهدف العودة للحياة الأسرية الآمنة.[55] فقدّم عدد من النقاد دراسة البيئة بصفتها مجالًا ثقافيًا لأسباب مختلفة، من أهمها ما جاء في التراث الإنساني منذ نشأته؛ إذ كانت البيئة هي الحليفة الأولى للإنسان في حلّه وترحاله؛ ومادته الأولى في التعبير والوصف لمكوناتها، ومشاعره اتجاهها، عبر عنها من خلال الخيال الأدبي، ومن الأمثلة على هذا التراث مسرحية أوديب التي جسدت انتشار الوباء، وقلق الإنسان اتجاه هذا الخطر.

أما الكتاب المقدس فقد بدأ بقصة طرد آدم وحواء من الجنة، كما بدأت الكوميديا الإلاهية باستغراق دانتي وتأمله للبرية الفاسدة، والملحمة البابلية / السومرية القديمة، وجلجامش، وإلياذة، وهوميروس، والأوديسة، والملحمة الإنجليزية القديمة بياولف، والرومانسية الإنجليزية الوسطى، السير أورفيو"[56] ، وإلى جانب ذلك ما ورد من تفسير لما قدمه أرسطو من اهتمام في البيئة، وعلاقته بالفنون والآداب،[57] بوصفها مظهرًا أساسيًّا من مظاهر الحياة الإنسانية، الذي يستدعي القلق حيال الأخطار المختلفة.

وبذلك بدأت دراسة الأدب تتجدد في محاولة لإظهار إبداعه في تطوير الوصف المكاني، والإحساس به وفقًا لزمانه، وتعزيز مفهوم الزمكان المتصل في الأدب، كما وصفهميخائيل باختين (1895-1975)، مُوضحًا الأبستمولوجية بدوائر أربعة تتمثل "بالرواية على الشعر، الزمان على المكان، الزمن الخطي على الزمن الدائري، الكرنوتوب الثقافي على الكرنوتوب المشتق من الطبيعة"[58]، في تصور يُظهر مركزية الزمكان في الحياة الإنسانية خاصة، والإحيائية عامة.

من هنا ارتبط المكان والطبيعة في الأدب عند النقاد البيئيين بإيحاءات الفلسفة الإيكولوجية المنعكسة على "الثقافة البيئية"، التي التحمت بفكر الهيمنة الجندرية، والطبقية، والعرقية، الذي جعلهم يقدمون دراسات تهدف إلى ابتكار أدوات ثقافية جديدة؛ تسهم في بناء مجتمعات يسودها أيدولوجيات تكسر مبادئ التراتبية وتحقق المساواتية الإيكولوجية.[59] خاصة بعد الاستعمار لما أحدثه من كوارث في حروب دامية، وعنف مقيت، وتخريب مدمر، رفع مستوى التوتر والقلق البيئي؛ باختراق الأيدولوجيات، لإنتاج قيم أخلاقية جديدة من خلال نشر ثقافة تعزز مبادئ المساواة؛ لذا سُلط الضوء على الموروث الأدبي، بصفته خطابًا ثقافيًّا متوفرًا، في منهجية موجهة حول البيئة وسبر أغوارها، وذلك لأن الأدب جزء من الثقافة، بل إنه منبع القوة على حد تعبير شيرلي جلوتفيلتي (1930-2014) في كتابها: (Ecocriticism Reader): إن "تعليم القراءة والخطاب النقدي يطلقان الطاقة والقوة"[60] فقوة الأدب تتخطى المعنى الثيماتي (الموضوعات) للوصول

إلى المعنى العميق في "أشكال الاتصال الجمالي"،وتطورت لتصل إلى: "الإمضاء التوليدي للنصوص".[61]

وفي عام (1970) كانت ثورة الأرض التي قدم فيها جوزيف ميكر(1974-....) دراسة بعنوان "كوميديا البقاء على قيد الحياة" برهن من خلالها قدرة الأدب على دراسة النماذج العلمية، وتبعه ليو ماركس (2001)، وأرنست رينو(1823-1892)، وليامز(1921-1988) بدراسة السياق الإيكولوجي في الأدب الرعوي الأمريكي والبريطاني، ليبين مظاهر التطور وأثر التمدن.[62]

وكما كانت لثورة الأرض الأهمية في النظر بعين الأهمية للعمل الأدبي في المجال البيئي، مثلما هي الحال في عام(1972) بتأليف الكتب البيئية تايلور الذي تنبأ بثورة تغير كل الثقافة البيئية في منظورها الأخلاقي والسياسي والاقتصادي، والاجتماعي، والنفسي، والتقني.[63]

وفي أواخر الستينات والسبعينات سعت الدراسات للتغيير والإصلاح، إلا أن هذه الدراسات اتصفت بالفوضى، لعدم وجود المنهج العلمي الواضح[64]، ومنها: ما قدمه الناقد الماركسي البريطاني ريموند هنري وليامز(1973-....) للأدب الرعوي؛ ظهر بصورة النقد الإكلينيكي. كذلك كتاب جوزيف ميكر "كوميديا البقاء" (1974)، الذي دعا فيه للأخلاق البيئية. وبعد عقد من الزمن (1989) دعا جلين لوف (1932-....) في خطابه يوم ترسيمه رئيسًا للجمعية الأمريكية الغربية للأدب، لتأسيس علم النقد البيئي، فكان خطابه ملهمًا للشباب الذين قابلهم.

لذا بدأت الدول في نهاية القرن العشرين (1978)، بالاهتمام بالمبادرات الجادة التي قدمتها المؤسسات البيئية، بهدف مزج الثقافة البيئية بالثقافات الإنسانية،[65] وعلى رأسها الدراسة النقدية التي تسلط الضوء على الثقافات والأيدولوجيات التي تذوب في الخطاب الأدبي، ويقدمها النقد الثقافي في رسائل مُوجهة تعمل على تقويم الموروث من الأدب، وتطويره في الوقت نفسه.[66]

وعلى الرغم من أن ويليام رويكيرت(1926-2006) أول من أطلق مصطلح "النقد البيئي"، في مقالة "الأدب وعلم البيئة: تجربة في النقد البيئي"1978م، فإن النقد البيئي في حراكه النقدي العملي يدين إلى راشيل كارسون(1907-1964) لتأليفها "الربيع الصامت" (1962)، الذي فتح أفقًا واسعًا للدراسة العملية.[67] ولعل توظيفها للاستعارات المركزية عن الطبيعة"[68]، أسهمت في تمثل المصطلح النقدي، بدءًا من شعريته في الوصف لأسراب الطيور، انتهاءً بتنبؤاته حول انهيار المنطقة، فمزجت بين الصور الجمالية، والمعلومات العلمية بمغزى مفاده: أن الدمار قادم لا محال في حال استمرارية الفكر الاستغلالي، من دون ضبط أو قانون.[69]

وقد تطورت الدراسة الأدبية، وأُعيد النظر في تحليل النصوص الأدبية، مثل أعمال رواة الحج في أوروبا بالعصور الوسطى، وشعر الأماكن الإيرلندي، والأدب الرعوي الأمريكي والأوروبي، والشعر التقليدي عن الطبيعة في اليابان والصين، وأعمال الاستكشاف لرواد النهضة التنويرية، ثم مناقشة نظرية مثالية إيمانويل كانط بالأفكار المتساوية، والمصطلحات الحديثة مثل

البراجماتية، والظاهراتية، وأنماط ما بعد البنيوية، ومن أشهر المؤتمرات: ما نظمته الولايات المتحدة الأمريكية، لبحث "النظرية النقدية المرتبطة بالبيئة"(1992)، فتأسست جمعية (ASLE) التي عُنيت "بدراسات الأدب البيئي"، أو"النقد البيئي"[70].

فضمت عددًا كبيرًا من المهتمين وصل عددهم لألف منتسب (عضو)، كما أصدرت مجلة دراسات متخصصة في الأدب والبيئة، أسهمت في إعادة النظر في النصوص الأدبية بوجهة بيئية؛[71]كما قدمت دراسة لإعادة النظر في مثالية إيمانويل كانط، والمفاهيم الرومانتيكية والبرجماتية والظاهراتية ولما بعد البنيوية، بهدف تعديل الفكر التراتبي.[72] كما أنها - الجمعية- قدمت منحًا دراسية دولية كتحفيز للباحثين، فتفاعلت الجامعات وقدمت الأبحاث الهامة في القيمة البيئة.[73] في محاولة لإنقاذ العالم، وفقًا لمفاهيم ارتبطت بمصطلح الاستدامة الديناميكية، التي تسوّغ لنظام تربوي يقوده السياسة[74].

لكن الأمر مختلف عند لورانس بويلالذي قدّم مصطلح (الخيال البيئي- Environmental Fantasy)؛ ليجمع بين ما هو مادي من جهة، وما هو روحي من جهة أخرى، شارحًا أهمية المكان في ترك البصمة الروحية، ففي وصف الخيال البيئي في المدينة يختلف عن غيره، لذا كان من الضروري تحديد "الجغرافيا الثقافية للمنطقة"، [75] موضحًا أهمية القيمة البيئية، وارتباطها في استشعار الأزمة التي تحتاج منا لوقفة إصلاحية، ووافقه بذلك

النقد الأمريكي، إلا أن هناك عددًا من النقاد البريطانيين أعادوا جذور الأزمة لأسباب سياسية بحته.

وبتتبع وجهتي النظر السابقتين يظهر المسار النقدي البيئي الأمريكي قد عُني بتفسير الخيال البيئي، العاكس للميراث البري وغير البري، ومن رواده: هنري ديفد ثورو(1817-1862)، ووليام موير(1819-1905)، وثورو وجون (1817-2186)، وماري هنتر أوستن (1868-1934)، ثمإدوارد آبي(1927-1989)، فقد ركزوا على القيمة التعليمية التي مثلت الموروث الثقافي الأمريكي المتمثل بالتعالي[76]، في وصف العلاقة الفردية بالطبيعة. أما ما قدمته المدارس البريطانية ظهر متوافقًا مع ما كان عليه الأدب في تلك الفترة من هيمنة للإيكولوجية الرومانسية، تقاسم فيها الشاعر الهشاشة والضعف مع الطبيعة، ومن أهم روادها: ويليامموردزورث (1770-1783)مؤلف"التراث البيئي"(1991)، و"أنشودة الأرض"(2000)، إلا أن النقد البيئي البريطاني كان يصب بالمنحى التهديدي، الذي يحذر من هول الأزمة البيئية الواقعة بسبب الصناعة والتجارة والاستعمار.[77]

وبعد تناول هذه المباحث الثلاثة، بات من الواضح أن وضعية النقد البيئي أصبحت مستقرة إلى حد معقول في البيئات الغربية، وإن لم يكن الأمر محددًا وواضحًا في البلاد العربية، لهذا يستلزم الأمر عرض منهجية النقد البيئي على من خلال منظورين يخدمان المجال التطبيقي للنقد البيئي، وهما:

- منهجية النقد البيئي بين الأداة والإجراء.

تلكم محاولة غير نهائية لتناول النقد البيئي ضمن إطار منهجي لا غنى عنه، وخاصة في مجال النقد التطبيقي، ذلك الذي يبدو هدفًا ستكشف المباحث التالية قيمةً تأسيسيةً له، قد تثمر، إلى حد ما، عن منهج محدد له ضوابطه وإجراءاته.

وعلى اعتبار أن النقد البيئي ثيمة تربط بين الطبيعة والثقافة المتمثلة بالأدب، فإنه يفاوض بين العلاقات الإنسانية وغير الإنسانية، في مسار يدعو للعدالة، والأخلاق البيئية، [78]وبهذه المنطلقات أسس النقاد مجموعة من المبادئ التي وضحت طرق النقد البيئي للنصوص الإبداعية البيئية.

لقد ظهرت المبادئ التي يرتكز عليها النقاد في النقد البيئي مرتبطة بما يؤمنون به وينتمون إليه من اتجاهات، فقد ظهرت مبادئ بويل واقعية الوجهة،[79]في حين كانت مبادئ الناقدين النرويجي آرتينايس والأمريكي جورج سميسيونس في رؤية للبيئة العميقة،كما وضحها جرارد[80]، وفي رؤية "الماركسيَّة البيئيَّة" تمثلت حيثيات النقد بارتكازها على ثلاثة محاور، تمثلت في الفوقية والسيطرة والاستغلال، تلك المحاور التي تمارس على البيئة بجميع مكوناتها حتى على البشر أنفسهم في أشكال مختلفة للظلم العرقي والطبقي[81]... كما أضاف عدد من النقاد إسهامات في وضع المبادئ العامة للمنهج.

وفي محاولة لتحديد المبادئ الرئيسة للنقد البيئي، كانت هناك أسئلة حول النظرية الأدبية والحقيقة البيئية، شكّلت هذه الأسئلة فضاءً

نقديًا ارتبطت به، أو تولدت منه، بعض المبادئ أو الإجراءات المتصلة بما يعرف بالنقد الأدبي البيئي، مثل الأسئلة التي ظهرت في دراسة لدانا فيليبس وغيرها، ومنها: أين تتحقق الإيكولوجيا؟ كيف نتعرف الإيكولوجيا الزائفة؟ ما حقيقة الإيكولوجيا بقدر ما تكون موجهة عن طريق الأدب؟ كيف يوجه الأدب بشكل أفضل تلك الحقيقة؟

بالإضافة إلى ذلك كان لإمبرتو إيكو مجموعة من التساؤلات من أبرزها: هل حقيقة الإيكولوجيا تكمن في الأدب؟[82] كيف تتمثل الطبيعة في النص؟ وما الدور الذي تلعبه الوضعية الفيزيقية في حبكة الرواية؟ وهل القيم المعبر عنها في النص متماسكة مع الحكمة الإيكولوجية؟ وكيف تؤثر استعاراتنا عن الأرض في الطريقة التي نتعامل بها معها؟ وما علاقة المكان بالمعتقدات حول العرق، والطبقة، والجندر؟ وهل حقًا هناك فرق فيما يكتبه الرجال عن الطبيعة بالمقارنة بالنساء؟وكيف يكون للأدب أثر في العلاقة البشرية مع العالم الطبيعي؟ وهل اختلف مفهوم البرية مع مرور الوقت؟وما تأثير علم البيئة في الدراسات الأدبية؟ وكيف ينفتح العلم ذاته على التحليل الأدبي؟

لقد أسهمت التساؤلات لفهم الدراسة الأدبية من منظور جديد، فقد بيّن لورانس بويلتكوين النص البيئي المتمثل في حيثيات أربعة: تشكلت بالبيئة غير البشرية، وبالانشغالات البشرية وغير البشرية، وأخلاقيات النص البيئوية، وأخيرًا النص الذي يتبنى فكرة وجود الطبيعة بوصفها سيرورة لا بوصفها إطارًا للنشاط الإنساني. لتشكل هذه الحيثيات المعايير الأساسية

لكتابة الطبيعة،"[83]فقد اقترح أربعة معايير نقدية هي: "حضور البيئة بوصفها أساس التاريخ الطبيعي، وأن مصلحة البشر لا تمثل المصلحة الشرعية الوحيدة، بل اعتبار البيئة جزءًا من التوجه الأخلاقي للنص، وأخيرًا: فهم البيئة في النص بوصفها عملية لا شيئا ثابتًا أو مفترضًا."[84]

فلم تظهر منهجيته النقدية باستغلال الواقعية فحسب، بل بدت كمهمة إنقاذ، إذ كان أساس العمل النقدي عنده قائمًا على مبدأ: "روح الالتزام بالممارسات البيئية"، مفسرًا مفهوم الطبيعة التمثيلية بأنها حالات أيدلوجية، لا يصلح اعتبارها فنتازيا أو رمزًا اجتماعيًا، كما بيّن في كتابه: "الخيال البيئي" مبادئ المساواة، في دراسته الموسوعية في معالجة الأعمال الأمريكية، إلا أن مبادئ بويل لم تفِ بالغرض الشمولي للنقد البيئي.[85]

أما مبادئ البيئة العميقة التي وضعها آرتينايس، وجورج سميسيون، تمثلت في أن سلامة الحياة البيئة بجميع مكوناتها البشري وغير البشري إنما هو ازدهار وذو قيمة، كذلك ثراء أشكال الحياة وتنوعها يمثلان قيمًا أساسية في الحياة؛ ذلك لأن الإنسان ليس لديه الحق في الحد من الثراء والتنوع، وتقتصر استفادته بما يحقق حاجته الحيوية، وربط ازدهار الحياة الإنسانية بخفض عدد السكان، مقرنًا الازدهار الحياتي بعدد السكان، ونعت التدخل البشري في العالم غير البشري بالإفراط، وتفاقم التسارع، فدعا إلى تغيير السياسات؛ لتأثيرها المباشر في البنى الاقتصادية، والتكنولوجية، والإيديولوجية. وتغيير الأيديولوجي وتعديل مبادئها في تقدير الأحياء، محملًا

أولئك الذين يشتركون في النقاط السابقة بالالتزام مباشرًا أو غير مباشر بتنفيذ التغييرات(86).

وإلى جانب ما قدمه بويل من منظور حول المساواة مع الطبيعة، فإن هناك تنظيمًا لمبادئ بيئية ظهرت عند آخرين من خلال الحث على التغيير الذاتي للمعتقدات السائدة حول البيئة، ثم الإقرار بأهمية المكان الذي لقبه بويل بالـ (أين).

وينسب جرارد إلى علماء البيئة العميقة الذين قدموا قيمة جوهرية إلى جميع البشر وغير البشر، أنهم مهتمون في أسلوب حياة مستدامة، إذ قدم نقدًا بيئيًا ارتكز على عدد من المعارف كالنظرية الأدبية والثقافية والفلسفية والاجتماعية، ليتميز نقده البيئي بالعلمية والموضوعية، وبدراسته للنصوص في شكلها اللغوي واختيار الالفاظ، إلى تحليل الخيال والاستعارات، في محاولة لبيان استراتيجيات الإقناع والأساليب البلاغية، مرورا بتحليل الخطاب واستنباط الأنساق المضمرة في معانيه، سواء أكانت أنساقًا ثقافية أم كانت مؤسساتية[87].

كما وردت بعض المبادئ المتصلة بالبيئة ونقدها، منها ما يتقاطع مع معايير سنايدر في المنظومة الأخلاقية البرية، ولا سيما في تناوله لأربعة معايير هي: الحاجة إلى الالتزام في مكان محدد، واعتبار البرية هي المعلم الأول للإنسان، وربط البرية بما هو مقدّس، ثم النظر للبرية بوصفها دليلًا على التشاركية والديمقراطية."[88]

وأخيرا يمكن استنتاج وتحديد المبادئ الأساسية في النقد البيئي وفق ما هو آت: الانسجام مع الأبدية.[89]، الاستراتيجية النقدية شكل من أشكال المقاومة البيئية، ولع النقد البيئي بالتنوع البيولوجي والولوج إلى المناطق المحظورة للدفاع عما يرد للطبيعة حضرها، النظرة الرومانسية الحالمة للطبيعة الآمنة غير المهددة؛ لتعزيز إيجابيات البيئة، الطبيعة والحرية، النظرة إلى شعرية النص الأدبي وكأنها شعرية معرفية، الأنسنة البيئية للطبيعة، الأنا والآخر، الخيال البيئي، التوحد مع البيئة ووعي إيكولوجي، الافتتان بالطبيعة، التركيز على المعنى الروحي وتغليبه على المادي، عمق المعنى الفلسفي.

لكن العلاقة بين النص الأدبي والطبيعة، في وعي بيئي مقصود، تُبنى على ما يُعرف بالحكمة الإيكولوجية، في الحفاظ على البيئة؛ لذا فإن ما قدمته مبادئ النقد البيئي يجسد محاولةً لفهم الوعي بحالتيه؛ الوعي الظاهر والمدون في الأدب وفقًا لقصدية المؤلف، والوعي الخفي الذي يتبيّنه الناقد بالغور في أسبار النصوص، ليبحر فيها باحثًا عن المعتقدات الراسخة بهدف تقويمها، وبيّن في دراسة لسكوت سلوفيك[90] قدّم ما يشبه الدليل الفني البيئي للأدباء، حين ينتجون نصوصًا أدبيةً تكون البيئة هي الثيمة الموضوعية لها؛ ففسر مفهوم القصدية وقدم أساليب فنية متنوعة حول أنماط الكتابة عن الطبيعة؛ بهدف إحداث الأثر في المتلقي، وزيادة وعيه بأسئلة البيئة. كما أضاف الشاعر روبنسون جيفر ضرورة اتخاذ استراتيجية الإزاحة من المركزية البشرية لغيرها، ونبذ الأنوية البشرية، وبالانتقال إلى ما بعد الأنسية، سيرسخ الإحساس بالعلاقة بين النص والطبيعة، وصولًا إلى وعي إيكولوجي يُسهم في

تعزيز قيمة البيئة وضرورة التصدي للأخطار المحدقة بها وخاصة في العصر الحديث، وكذلك الوعي الجمعي في ملمح النستولوجي.[91] الذي قُسم إلى نوعين هما: الجماعي والفردي، ليمثل الملمح الجماعي هروب الحاضر، بانشغالهم في الماضي السعيد- وفقًا لرأيهم- أما الملمح الفردي فقد عبر عنها بوصفها التجربة الشخصية بالشعور بالعجز أو الفقد أو الشيخوخة؛ فيتذكر ماضيه المليء بالإنجازات والنجاحات.

وبهذا يتضح أن الموضوع الحقيقي للكتابة البيئية "كتابة الطبيعة"[92] ليست الطبيعة، بل ما تسلط الضوء عليه من خلال الطبيعة للبنية الاجتماعية الحديثة [93]، التي حُرمت من الطبيعة، كنتيجة للتطور الاقتصادي، وخاصة في الاهتمام بتحديد المصير للمجتمعات من الجانبين البيولوجي والروحي معًا، على اعتبار أن مصير البشرية والطبيعة لا ينفصلان؛ لذا كان توجه الباحثين في دراسة النقد البيئي، للأعمال الأدبية المفعمة بوصف المكان، سواء أكانت من القديم الموروث، أم من الحديث، يسعى لفهم التمثلات البيئية في الممارسات الأدبية.

- **الخطاب النقدي البيئي ومأزق الاصطلاح**

أصبح تحليل الخطاب إطارًا يعيد النظر في الاتجاهات والتقاليد المتعلقة بالمقاربات النظرية والمنهجية للخطابات "القديمة" و "الجديدة" بهدف تحديد الآثار الخطابية[94]. ليكشف عن مأزق الاصطلاح في المقاربات والدراسات المختلفة، وبالرغم من الاتفاق المنهجي في التحليل، فإن التسميات اختلفت باختلاف السلطة المهيمنة على فكر الناقد المحلل للخطاب البيئي.

وقد بيّنت كارين وينكلر أن تعدد التسميات المصطلحية يعود لتشعب الاتجاهات النقدية.[95] وانشغال النقاد بتأسيس النظرية النقدية البيئية وأدواتها، أدى لتفاوت في المسميات الاصطلاحية، وبالرغم من أن هذه المسميات لا تنم عن تغيير في مبدأ اشتغال النظرية، بل تعكس ثقافة الناقد وقدرته على توليد المصطلح، فإن ذلك يعود إلى تداخل علومه المنوعة وتخصصاته المختلفة، أو لكونه يضم معاني مادية وروحية في الوقت نفسه.

وباستقطاب مصطلح النقد الأدبي للبيئة مترادفات تشمل: الأصل، الجنس، الطبقة، والعرق، شكّل أزمة تعريفية، يمكن وصفها بأنها مأزق في الفهم الاصطلاحي؛ وهو ما ظهر مع بداية تأسيس المصطلح وخاصةً عند تحديد ماهية النقد المطلوب، عمّا إذا كان النقد قائمًا على تحديد الجماليات الفيزيائية، أم أنه نابع من دراسة الأخلاق البيئية، وطرحت تساؤلات تتعلق بالنصوص المستهدفة للتحليل؛ نصوص تراثية قديمة ، أم نصوص حداثية وما بعد حداثية؛ فبرزت مسميات متعددة بتعدد الاتجاهات النقدية واختلافاتها، ومن أهمها الدراسات الثقافية الخضراء(green cultural studies)،و"كتابة الطبيعة"، و"النقد البيئي الأدبي" environmental literary criticism"، و"الشعرية أو البويطيقا البيئية (ecopoetic)، الأدب البيئي (eco-literature)، والنقد البيئي أو الإيكولوجي أو الأخضر و"علم التبيؤ" كما ذكره جرج جرارد في كتابه النقد البيئوي، والدراسات الخضراء النقد البيئوي- نقد التبيؤ/ النقد الأدبي البيئوي(Eco-Criticism)[96]، فتنوعت التسميات وفقًا للغات والبيئات، على المستوى اللفظي ومستوى الصياغة، لكنها حافظت على

تناول الأدب من منظور بيئي يسترشد بمجالات أخرى مثل علم البيئة، والتصميم المستدام، والسياسة الحيوية، وتاريخ البيئة، وحماية البيئة، والايكولوجيا الاجتماعية.

كذلك فإن لمسميات النقد البيئي في الأدب مصطلحات توازيها في العلوم، مثل: علم البيئة، ويقابلها دراسة الأدب نقده، وعند الإيكولوجي هو علم البيئة العميقة، أما البيئة المادية فيقابلها: التصور البيئي وإعادة التصور، وظهر له اسم التنوع البيولوجي، أي الثقافة البيئية العالمية اللاوعي البيئي، ومسمى الأنواع المهددة بالانقراض، كان يوازيه مصطلح موئل البيئة الثقافية، أما مرادف التلوث، فهو الخطاب السام، المخاطر الأدبية، أو التلوث اللغوي.[97]

ولقد تأسس المصطلح النقدي الجديد، الذي ينطلق من مقاربات واستراتيجيات معنية بمظاهر البيئة، وقائمة على أسس ومبادئ تدعو للمحافظة على البيئة، أطلق عليه النقد الإيكولوجي أو النقد البيئي؛ ليشكل منحًى جديدًا في علم النقد الأدبي، الذي يدرس الأدب بصور أيديولوجية وفكرية جديدة مرتبطة بالبيئة ومكوناتها، كمسار متطور للنقد الثقافي والنسقي.[98]

وبالنظر إلى الأدب العربي، نجد أن بدايات النقد البيئي وصلت متأخرة، ففي (1989)إذ عُقد اجتماع رابطة الأدب العربي في أمريكا، سُلّط الضوء فيه على كيفية استخدام مبادئ إيكولوجية لإبداع العمل الأدبي.[99]، ولكن الاهتمام بالدراسات الأدبية البيئية في المشهد العربي الأدبي والنقدي،

اهتمام محدود، وهو ما يعكس وعيًا متأخرًا لدى المبدع من جهة، ولدى الدارس الأدبي في العربية من جهة أخرى؛ ومما يؤكد ذلك أن كثيرًا من الدراسات النقدية التي ربطت بين البيئة والأدب كانت دراسات فنية في المقام الأول والأخير، ولم تنل الطبيعة في علاقاتها أو حضورها مع الأدب شعرًا ونثرًا، الخطوة النقدية المرتبطة بوعي إيكولوجي؛ لأنها كانت علاقات رومانسية فنية غير مدفوعة- في كثير من الأحيان، إن لم يكن في جُلّها- بموقف أيديولوجي يستشعر الخطر على البيئة ومقدرات الحياة.

ويكفي المتتبع لتلك الدراسات التي حملت عناوينها مفردات مستهلكة، مثل: (الطبيعة في شعر فلان)، و(الطبيعة في الشعر العربي) وغيرهما،[100] يكفيه أن يدرك مدى البون الشاسع لها مع النقد البيئي، بل إن الحديث عن سمة (الأنسنة) للطبيعة في الشعر عُد لدى الشعراء سمةً حداثية ذات إطار تجريبي في الإبداع الشعري، ولم تستثمر إيكولوجيا بما ينبئ عن وعي بالبيئة.

إن التلاحم في العلاقة بين الثقافة البيئية والنقد البيئي تتجلى ملامح الوعي القيمي الجديد، والأخلاق البيئية التي تعِد بحل الأزمات البيئية وأهمها"الإبادة البيئية"، وإن من أهم المجالات الثقافية التي تصدت للموضوع هو المجال الأدبي، فقد عُدّ قوةً إيكولوجية، وجمالية تحمل في طياتها ثنائية العقل والجسد، في بعديها المفاهيمي والإدراكي، في رصد الأفكار والتجارب، بوعي انعكاسي للمجتمعات، وما تقدمه من إنجازات للسيرورات المعقدة، والدينامية الحياتية.

- **المصادر والمراجع:**

1- أفلاطون، (سلسلة محاورات أفلاطون في السفسطائيين والتربية.. محاور بروتاجوراس)، ترجمة: د. عزت قرني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.
2- أفلاطون، (فايدروس.. أو عن الجمال)، ترجمة: أميرة حلمي مطر، القاهرة، دار غريب، 2000.
3- أرسطوطاليس، (السياسة)، ترجمة: أحمد لطفي السيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000.
4- أرسطو، (فن الشعر)، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، 1953.
5- بامي، جمال، (الفلسفة البيئية وسؤال القيم جدلية الإنسان والطبيعة)، الرابطة المحمدية للعلماء، عدد 48، 2020.
6- بدران، محمد أبو الفضل، أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، بيروت-دبي، 2015.
7- برانش، مايكل، (النقد الإيكولوجي)، ترجمة: معين رومية، النادي الأدبي الثقافي في جدة، العدد36، 2007.
8- براون، تشارلز، (كتب الإيكوفينومينولوجيا: العودة إلى الأرض ذاتها)، ترجمة: جهاد عبد العال، مجلة ديوجين، مجلد1، العدد 2، 2014.
9- بليت، جان ماري، (عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة)، ترجمة: السيد محمد عثمان، سلسلة عالم المعارف، د.ط، الكويت.

10-بوستنيكوف، فيكتور، (الشِّعر الإيكولوجي)، ترجمة: روميه، الناشر النادي الأدبي الثقافي، جدة، العدد 27، 2004.
11-جرارد، جريج، (النقد البيئوي)، ترجمة عزيز صبحي جابر، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، أبو ظبي، 2009.
12-جليكيكا، توشيتس، (النقد البيئي دراسة بينية في الأدب والبيئة)، ترجمة: سناء عبد العزيز، مجلة فصول مجلة النقد الأدبي، المجلد (2/26)، العدد 102، شتاء 2018.
13-جمعية دراسة الأدب والبيئة" (ASLE). موقعها إلكتروني في الشبكة العنكبوتية (https://www.asle.org
14-حفناوي، بعلي، (آفاق النقد الثقافي الإيكولوجي اخضرار العلوم الإنسانية)، وزارة الثقافة، المجلد 52، العدد 605، سوريا، 2014.
15-حمداوي، جميل، نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، موقع الألوكة.
16-الخوري، جميلة شحادة، (شعر الطبيعة في الأدب الأندلسي)، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1946
17-ديكارت، رينه، (مقال عن المنهج: لإحكام قيادة العقل وللبحث عن الحقيقة في العلوم)، ترجمة، وتقديم: محمود محمد الخضيري، القاهرة، المكتب المصري للطباعة والنشر، 1930.

18-زيمرمان، مايكل، (الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية)، ج1، ترجمة: معين شفيق رومية، عالم المعارف، الكويت، 2006.

19-ضياء الرحمن، محمد، (مقاومة بيئية في شعر محمود درويش)، مجلة الديبل، مجلد 1، العدد: 1، 2016.

20-مجموعة من المؤلفين، (الأدب والبيئة)، مجلة النقد الادبي فصول، المجلد (26/2) العدد 102، 2018.

21-مجموعة من المؤلفين، (النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات)، إعداد وترجمة: نجاح الجبيلي، مطبعة شهريار، العراق، ط1، 2021.

22-مصطفى محمد، هناء، (جماليات المكان في شعر الاتجاه الرومانسي: دراسة في النقد البيئي)، مجلة سرديات، العدد 30، 2018.

23-ناصر، ديما، (العودة إلى النقد البيئي.. من الأدب البيئي إلى السياسة البيئية)، حوليات آداب عين شمس، جامعة عين شمس، المجلد40، مصر، 2012.

24-نتشيه، فريدريك، (أفول الأصنام)، ترجمة: حسان بورقية، محمد الناجي، أفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، 1996.

25-النجادي، موسى علي موسى، (الطبيعة في الشعر المملوكي)، جامعة الخليل، 2006.

26-نسيم، وجدي خيري، (أزمة البيئة والتحديات الأخلاقية العالمية المعاصرة.. قراءة فلسفية)، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مجلد17، عدد 63، عمان، 2019.

المراجع الأجنبية:

27- Atashi, L., "An Ecocritical Reading of Melville,s "Bartleby the Scrivener" , International Letters of Social and Humanistic Science, Vol. 73, 2016
28- Buell, L., Heise, U. K. and Thornber, K., "Literature and Environment" , Annual Review of Environment and Resources, Issue 36, 2011, Retrievedfrom: https://ssrn.com/abstract=1955082 or http://dx.doi.org/10.1146/annurev-environ-111109-144855
29- Buell, L. (1995). The environmental imagination Thoreau, nature writing, and the formation of American culture. Harvard University press.
30- Buell, Lawrence. 1998. Toxic Discourse. Critical Inquiry 24(3)
31- Cheryll Glotfelty (Editor), Harold Fromm (Editor), Michael P. Branch (Contributor), &42 more : Ecocriticism Reader The Ecocriticism Reader: Landmarks in Literary Ecology Paperback – May 1, 1996.
32- Scholars Embark on Study of Literature About the Environment By Karen J. Winkler The Chronicle of Higher Education 9 August 1996: A8+

33- Garrard, Greg. 'Towards an Unprecedented Ecocritical Pedagogy', in Teaching Literature: Text and Dialogue in the English Classroom, ed. B. Knights, 2017.
34- Paul W. Taylor, Respect for Nature: A Theory of Environmental Ethics, Princeton, Princeton UniversityPress, 2011.
35- Peter H. Feindt, Discourse analysis of environmental policy revisited: traditions, trends, perspectives, SinaLeipold, Georg Winkel &Reiner Keller, Published online: 10 Sep 2019.
36- Peter Singer, Practical Ethics, Cambridge, Cambridge University Press, 1999.
37- R.L Bryant (Political Ecology: An Emerging Research Agenda In The Third World Studies) Political Geography, VOL.11,1992.
38- Walker, Peter. "Politics of nature: An overview of political ecology." Capitalism Nature Socialism 9.1
39- Lopez, Barry (1998), "We are shaped by the Sound ofWind, the Slant of the Sunlight" High Country News 30:17(14 September 1998.

- الهوامش

(1) مارلاند، بيبا، (مقدمة في النقد البيئي)، ضمن كتاب (النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات)، إعداد وترجمة: نجاح الجبيلي، مطبعة شهريار، العراق، ط1، 2021، ص9.

(2) المرجع السابق، بحث كوب، لورنس، (كينيث بريك رائد النقد البيئي)، ص 197.

(3) يُعَدُّ الشاعرُ الألماني غوتهمن شعراء أوروبا "الإيكولوجيين"، وعبر عن ذلك في موقفه الحيادي إزاء الثورة الفرنسية لإيمانه بالسلام ونبذ العنف الذي نعته بمضاد الطبيعة؛ فقدم فلسفته مرتبطة بالدين. ومن أبرز أقواله: "أن تعرف الطبيعة هو أن تشعر بالنَّفَس الإلهي" وقدم حلاً لمشكلة التنافُر بين المعرفة والإيمان، كما آمن بخلود الروح، بوصفها مشتقة من الطبيعة الخالدة "لن يكون هناك، أيًّا تكن الظروف، فناءً للقوى الروحية في الطبيعة؛ لأن الطبيعة لا تهدر كنوزها عبثًا.". راجع: بوستنيكوف، فيكتور، (الشِّعر الإيكولوجي)، ترجمة روميه، الناشر النادي الأدبي الثقافي، جدة، العدد 27، 2004م، ص 63.

(4) بروتاجوراس زعيم الفكر السفسطائي في القرن الخامس قبل الميلاد. راجع: سلسلة محاورات أفلاطون في السفسطائيين والتربية (محاور بروتاجوراس)، ترجمة: د. عزت قرني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص 19. وأيضًا راجع: نسيم، وجدي خيري، (أزمة البيئة والتحديات الأخلاقية العالمية المعاصرة.. قراءة فلسفية)، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مجلد17، عدد 63، عمان، 2019، ص 193.

(5) نسيم، وجدي خيري، (أزمة البيئة والتحديات الأخلاقية العالمية المعاصرة.. قراءة فلسفية)، ص194.

(6) راجع: أفلاطون، فايدروس.. أو عن الجمال، ترجمة: أميرة حلمي مطر، القاهرة، دار غريب، 2000، ص 38-39

(7) أرسطو، فن الشعر، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، 1953، ص 42-44 (بتصرف).

(8) وجاء في كتاب السياسة لأرسطو: "**لذلك ترى الثمار والحيوانات تكون مادة طبيعية يعرف الناس أجمعون أن يستغلوها**"، وبهذه العبارة يكون الأول في الدعوة لاستغلال الطبيعة، راجع: أرسطوطاليس، السياسة، ترجمة: أحمد لطفي السيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000، ص 116.

(9) راجع: بامي، جمال، (الفلسفة البيئية وسؤال القيم جدلية الإنسان والطبيعة)، الرابطة المحمدية للعلماء، عدد 48، 2020، ص 265، وراجع: نسيم، وجدي خيري، (أزمة البيئة والتحديات الأخلاقية العالمية المعاصرة.. قراءة فلسفية)، ص196.

(10) نسيم، وجدي خيري، (أزمة البيئة والتحديات الأخلاقية العالمية المعاصرة.. قراءة فلسفية)، ص196.

(11) كذلك تعددت المؤلفات التي تهتم بالإنسان في جميع مجالات حياته: من تربية، والأخلاق، والدولة، والقانون، يبين مركزية الإنسان، المرجع السابق، ص 197.

(12) المرجع السابق، ص196.

(13) راجع: بوستنيكوف، فيكتور، (الشِّعر الإيكولوجي)، ص 65.

(14) المرجع السابق، ص 61-62 (بتصرف).

(15)راجع: نسيم، وجدي خيري، (أزمة البيئة والتحديات الأخلاقية العالمية المعاصرة.. قراءة فلسفية)، ص 201، وأيضًا راجع: Peter Singer, Practical Ethics, Cambridge, Cambridge University Press, 1999, p 267

(16) نسيم، وجدي خيري، المرجع السابق، ص192-201(بتصرف).

(17) جرارد، جريج، النقد البيئوي، ترجمة عزيز صبحي جابر، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، أبو ظبي، 2009. ص 121- 136(بتصرف).

(18)بيل، لورانس، وآخرون، (الأدب والبيئة)، مجلة النقد الادبي فصول، المجلد (26/2) العدد 102، 2018، ص 337، وراجع: بليت، جان ماري، (عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة)، ترجمة السيد محمد عثمان، سلسلة عالم المعارف، د.ط، الكويت، ص 129-133(بتصرف).

(19) حفناوي، بعلي، آفاق النقد الثقافي الإيكولوجي اخضرار العلوم الإنسانية، وزارة الثقافة، المجلد 52، العدد 605، سوريا، 2014، ص 114، وراجع: بيل، لورانس، وآخرون، (الأدب والبيئة)، ص 337.

(20) جرارد، جريج، النقد البيئوي، ص98.

(21) نتشيه، فريدريك، أفول الأصنام، ترجمة: حسان بورقية، محمد الناجي، أفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، 1996، ص40.

(22) فليبس، دانا، (النقد البيئي، والنظرية الأدبية، وحقيقة الإيكولوجيا)، ضمن كتاب: (النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات)، ص 99-100(بتصرف).

(23) Paul W. Taylor, Respect for Nature: A Theory of Environmental Ethics, Princeton, Princeton UniversityPress, 2011, p.12، راجع، نسيم، وجدي خيري، (أزمة البيئة والتحديات الأخلاقية العالمية المعاصرة. قراءة فلسفية)، ص205.

(24) نسيم، وجدي خيري، المرجع السابق، ص 202.

(25) ديكارت، رينه، مقال عن المنهج: لإحكام قيادة العقل وللبحث عن الحقيقة في العلوم، ترجمة، وتقديم: محمود محمد الخضيري، القاهرة، المكتب المصري للطباعة والنشر، 1930، ص 12 (بتصرف).

(26) المرجع السابق، ص203-207 (بتصرف).

(27) براون، تشارلز، كتب الإيكوفينومينولوجيا: العودة إلى الأرض ذاتها، ترجمة: جهاد عبد العال، مجلة ديوجين، مجلد1، العدد 2، 2014، ص 395 (بتصرف).

(28) بليت، جان ماري، (عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة)، ص48. ونظرية "المالتوسية" نسبة إلى الاقتصادي والديمغرافي الإنجليزي مالتوس، والتي فسرت ظاهرة نمو الفقر ومشكلاته في العالم، ونسبة تزايد أعداد السكان مقابل معدل المحاصيل الزراعية، التي تُظهر اختلال التوازن. راجع: كتاب المشكلة السكانية، وخرافة المالتوسية الجديدة، تأليف الدكتور رمزي زكي، عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر 1984، ص39.

(29) زيمرمان، مايكل، الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، ج1، ترجمة: معين شفيق رومية، عالم المعارف، الكويت، 2006– مقدمة المترجم، ص 9-14(بتصرف)، وراجع: Ecocriticism Reader، ص 7-15(بتصرف).

(30) بليت، جان ماري، (عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة)، ص191 (بتصرف).

(31) بليت، جان ماري، المرجع السابق، ص129.

(32) نسيم، وجدي خيري، (أزمة البيئة والتحديات الأخلاقية العالمية المعاصرة قراءة فلسفية)، ص200.

(33) راجع مقدمة المترجم: زيمرمان، مايكل، الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية، ج 1، ص 7-14(بتصرف).

(34) راجع المرجع السابق، ج 2، ص 339، وراجع مارلان بيبا، (مقدمة في النقد البيئي)، ص9-21(بتصرف).

(35) زيمرمان، مايكل، (الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية)، ج1، ص15.

(36) مارلاند، بيبا، (مقدمة في النقد البيئي)، ص12.

(37) مارلاند، بيبا، (مقدمة في النقد البيئي)، ص13، وراجع: بيل، وهيكس، (الأدب والبيئة)، ص 339.

(38) حفناوي، بعلي، (آفاق النقد الثقافي الإيكولوجي اخضرار العلوم الإنسانية)، ص 117.

(39) راجع مقدم كتاب: ECOCRITICISM READER، وراجع: حمداوي، جميل، (نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة)، موقع الألوكة، ص 296-302 (بتصرف)، وراجع زيمرمان، مايكل، (الفلسفة البيئية: من حقوق الحيوان إلى ...)، ج2، ص 124-125.

(40) راجع: النقد البيئوي، الفصل الثالث- الرعوية- ص 46-72(بتصرف).

(41) المرجع السابق، ص 61.ومن النقاد الذين كتبوا عن الإيكولوجيا السياسية جون كلارك، راجع: مقدمة كتاب الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا، ص7-12.

(42) برانش، مايكل، (النقد الإيكولوجي)، ص 29.

(43)راجع مقدمة زيمرمان، مايكل، (الفلسفة البيئية من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا)، ج1، ص 7-12(بتصرف).

(44) المرجع السابق، ج1، ص 245.

(45) مارلاند، بيبا، (مقدمة في النقد البيئي)، ص15.

(46) بليت، جان ماري: المرجع السابق، ص 46-47 (بتصرف).

(47) فقد شكك البنيويون وبعض البيئويين بكون دراسة البيئة هي دراسة علمية، على اعتبار أن العلم موضوعيًا، لا يخضع لمنظومة القيم، إلا أنهم مع الوقت تأكدوا من وجود فجوة كبيرة في هذا المعتقد والواقع البيئي، راجع: جرارد، جريج، النقد البيئوي، ص 23.

(48)وصف بارشرز المقدسين للبيئة في نقده لهم بأنهم مصابون بالهستيريا، لتضخيمهم المسائل الخاصة في البيئة وإن صغر حجم المشكلة، في محاولة منه بالتعقل حيال مفهوم التلوث الذي انتشر في الثقافة الدعائية والسياسية، برعاية البنيويون، فأدت لنشر الرعب الهستيري. راجع: المرجع السابق: ص 23-26.

(49) أعلن ثورو عن رأيه في محاضرة بعنوان: "التنزه"، راجع: كوهن، مايكل، (النقد البيئي تحت المنظار)، ضمن كتاب (النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات) ص 47.

(50) كوهن، مايكل، المرجع السابق، ص 26-27، كوب، لورنس، (كينيث بريك رائد النقد البيئي)، المرجع السابق، 190(بتصرف).

(51) جرارد، جريج، المرجع السابق، ص 17، 180. (بتصرف)

(52) ويسلنج، لويس، (الأدب والبيئة ومسألة ما بعد الإنسان)، ص 329.

(53) جرارد، جريج، النقد البيئوي، ص 17، وراجع: برانش، مايكل، (النقد الإيكولوجي)، ترجمة معين رومية، النادي الأدبي الثقافي في جدة، العدد36، 2007، ص 36.

(54) جليكيكا، توشيتس، (النقد البيئي دراسة بينية في الأدب والبيئة)، ترجمة سناء عبد العزيز، مجلة فصول مجلة النقد الأدبي، المجلد (2/26)، العدد 102، شتاء 2018، ص 328-329 (بتصرف). وراجع: ويسلنج، لويس، المرجع السابق، ص 329، وراجع: مارلاند، بيبا، (مقدمة في النقد البيئي)، ص 13.

(55) راجع: كوب، لورنس، (كنيث بريك رائد النقد البيئي)، ضمن كتاب: (النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات)، ص 189- 194 (بتصرف).

(56) برانش، مايكل، (النقد الإيكولوجي)، ص 33.

(57) راجع: توسيتش، جيليكا، (النقد البيئي.. دراسة بينية في الأدب والبيئة)، ص 329، وراجع: برانش، مايكل، المرجع السابق، ص 35-34(بتصرف).

(58) الكرنوتوب مفهوم دال على الزمكان، راجع: موللر، تيمو، (إيكولوجيا الكرونوتوب الأدبي: باختين والنقد الأدبي)، ضمن كتاب: (النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات)، ص 175- 177 (بتصرف).

(59) راجع: مفهوم:" الثقافة البيئية"، برانش، مايكل، (النقد الإيكولوجي)، ص 34. أما مفهوم: "المساواتية الإيكولوجية"، ص 42-43(بتصرف).

(60) by Cheryll Glotfelty (Editor), Harold Fromm (Editor), Michael P. Branch (Contributor), 2 more4& :Ecocriticism Reader The Ecocriticism Reader: Landmarks in Literary Ecology Paperback – May 1, 1996.p: 109.

(61) زابف، هوبرت، (الإيكولوجيا الثقافية اتجاه جديد في النقد البيئي)، ضمن كتاب (النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات)، ص158.

(62) راجع: بيل، لورانس، وآخرون، (الأدب والبيئة)، ص 336- 337(بتصرف).

(63) حفناوي، بعلي، (آفاق النقد الثقافي الإيكولوجي اخضرار العلوم الإنسانية)، ص114، بيل، لورانس، وآخرون، المرجع السابق، ص 337

(64) ويسلنج، لويس، المرجع السابق، ص 366-386 (بتصرف).

(65) راجع: بيل، لورانس، وآخرون، (الأدب والبيئة)، ص 329، ومارلان بيبا، (مقدمة في النقد البيئي)، ص13.

(66) زابف، هوبرت، المرجع السابق، ص158.

(67) ويسلينج، لويس، (الأدب والبيئة ومسألة ما بعد الإنسان)، ص368.

(68) كتاب نشر في 1962 للكاتب راشيل كارسون، مهد لبداية مذهب نقدي جديد، لما قدمه من وعي بيئي جديد، وقد وصفه تشير تشريل غلوتفلتي في كتابه دليل القارئ للنقد البيئي بأن العرق والجنس والطبقة موضوعات ظهرت في آخر القرن العشرين، لم يُسمح لها بالتعبير عن نفسها بفعل الضغط الخارجي عليها.راجع: مارلان بيبا، المرجع السابق، ص 10-11(بتصرف).

(69) جرارد، جريج، النقد البيئوي، ص14.

(70) ويسلينج، لويس، (الأدب والبيئة ومسألة ما بعد الإنسان)، ص 368.

(71) كوهن، مايكل، (النقد البيئي تحت المنظار)، ص 47.

(72) ويسلنج، لويس، المرجع السابق، ص367.

(73) Buell, Lawrence. 1998. Toxic Discourse. Critical Inquiry 24(3): p 639-640.

(74) Garrard, Greg. 'Towards an Unprecedented Ecocritical Pedagogy', in Teaching Literature: Text and Dialogue in the English Classroom, ed. B. Knights, 2017, P: 189.

(75) راجع: جليكيكا، توشيتس، (النقد البيئي دراسة بينية في الأدب والبيئة)، ص 331.

(76)راجع: هلينا فيدر، (النقد البيئي وإنتاج المسوخية في رواية فرانكشتاين)، ضمن كتاب (النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات)، ص261.

(77) (النقد البيئي)، ضمن كتاب (النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات)، ص 12-13(بتصرف).

(78) النقد البيئي تحت المنظار، ضمن كتاب (النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات)،ص 50 (بتصرف).

(79) فيليبس، دانا، (النقد البيئي والنظرية الأدبية وحقيقية الإيكولوجيا)، ص 104.

(80) جيليكا توسيتش، (النقد البيئي. دراسة بينية في الأدب والبيئة)، ص 330، وراجع: جرارد، جريج، النقد البيئوي، ص 16-32 (بتصرف).

(81) راجع: جرارد، جريج، المرجع السابق، ص28-29، وراجع:

Buell, L., Heise, U. K. and Thornber, K., "Literature and Environment", Annual Review of Environment and Resources, Issue 36, 2011, p. 429. Retrieved from: https://ssrn.com/abstract=1955082 or http://dx.doi.org/10.1146/annurev-environ-111109-144855

(82) فيليبس، دانا، (النقد البيئي والنظرية الأدبية وحقيقية الإيكولوجيا)، ص 99-100(بتصرف).

(83) Atashi, L., "An Ecocritical Reading of Melville,s "Bartleby the Scrivener" , International Letters of Social and Humanistic Science, Vol. 73, 2016, p. 8, Retrieved from

(84) راجع: النقد البيئي تحت المنظار، ضمن كتاب (النقد البيئي، مقدمات، مقاربات، تطبيقات) ص 50، وراجع: النقد البيئوي، ص 66، وراجع: Buell, L. (1995). The environmental imagination: Thoreau, nature writing, and the formation of American culture. Harvard University press. p7-8.

(85) فيليبس، دانا، (النقد البيئي والنظرية الأدبية وحقيقية الإيكولوجيا)، ص 104- 107(بتصرف).

(86) توسيتش، جيليكا، (النقد البيئي.. دراسة بينية في الأدب والبيئة)، ص 330.

(87) راجع جرارد، جريج، النقد البيئوي، ص 68

(88) المرجع السابق، ص 96 (بتصرف).

(89) بوستنيكوف، فيكتور، (الشِّعر الإيكولوجي)، ص 66.

(90)سكوتسلوفيك عالم النفس البيئي ألّف كتابه (التماس الوعي في كتابات الطبيعة الأمريكية) في عام 1992م، راجع: برانش، مايكل، (النقد الإيكولوجي)، ص 46-48(بتصرف).

(91) راجع: مصطفى محمد، هناء، جماليات المكان في شعر الاتجاه الرومانسي: دراسة في النقد البيئي، مجلة سرديات، العدد 30، 2018، ص205-208 (بتصرف).

(92) العودة إلى النقد البيئي، من الأدب البيئي إلى السياسة البيئية، ص 269.

(93)Lopez, Barry (998), "We are shaped by the Sound ofWind, the Slant of the Sunlight" 1 .High Country News 30:17(14 September 1998) p1

(94)Peter H. Feindt, Discourse analysis of environmental policy revisited: traditions, trends, perspectives, SinaLeipold, Georg Winkel &Reiner Keller, Published online: 10 Sep 2019, P .445

https://www.tandfonline.com/doi/full/10.1080/1523908X.2019.1660462

(95) بدران، محمد أبو الفضل، أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، بيروت-دبي، 2015، ص195. Scholars Embark on Study of Literature About the Environment by Karen J. Winkler The Chronicle of Higher Education 9 August 1996: A8+

(96) راجع: توسيتش، جيليكا، (النقد البيئي.. دراسة بينية في الأدب والبيئة)، ص 333، وراجع: توسيتش، جيليكا، (النقد البيئي.. دراسة بينية في الأدب والبيئة)، ص 333.وكذلك لورنس بيل، أورسولا ك. هيس/ كارين ثوربنر، (الأدب والبيئة)، ص 336، وناصر، ديما، العودة إلى النقد البيئي: من الأدب البيئي إلى السياسة البيئية، حوليات آداب عين شمس، جامعة عين شمس، المجلد40، مصر، 2012، ص269، ألفت شيرلي كلوتفيليو"هارولد فروم "في ."The Ecocriticism Reader

(97) جيليكا توسيتش، النقد البيئي: دراسة بينية في الأدب والبيئة، ترجمة سناء عبد العزيز، مجلة النقد الأدبي فصول، ص 329.

(98) جرارد، جريج، النقد البيئوي، الفصل الثالث، ص 68.

(99) ضياء الرحمن، محمد، مقاومة بيئية في شعر محمود درويش، مجلة الديبل، مجلد 1، العدد: 1، 2016، ص 172.

(100) هناك دراسات كثيرة تحمل هذه العناوين، منها: (أدب الطبيعة) لمصطفى السحرتي، مطبعة التعاون، الإسكندرية، 1937، كتاب (شعر الطبيعة في الأدب الأندلسي)، لجميلة شحادة الخوري، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1946، وكتاب (شعر الطبيعة في الأدب المصري)، لعوض الغباري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،1986، كذلك (الطبيعة في الشعر المملوكي)، لموسى علي موسى النجادي، جامعة الخليل، 2006... إلخ.

الشخصية الروائية من الكائنية إلى العلامة

أ/ عيسى بلخباط
ماجستير أدب عربي – طالب دكتوراه
جامعة محمد خيضر بسكرة
البريد الإلكتروني : aissa.adab@gmail.com

الملخص :

سنسعى من خلال هذا المقال إلى محاولة الإحاطة بالجوانب النظرية لمقولة الشخصية الروائية بوصفها عنصرا مركزيا في البناء الروائي ، ومناط عناية خاصة من لدن كتاب الرواية، إضافة إلى استحالة تصور عمل روائي دون حضورها فهي تشكل بالنسبة للرواية الروح للجسد، كما أنها تمثل المحور الذي تدور في فلكه باقي العناصر السردية الأخرى ، دوران الكواكب حول الشمس، كما أن مقولة الشخصية الروائية شكلت موضوع اهتمام واسع عند النقاد بمختلف اتجاهاتهم ومشاربهم وخاصة السرديين و السيميائيين منهم، وتنوعت الرؤى النقدية نحوها بتنوع المنطلقات الفكرية والمنهجية للنقاد

. الكلمات المفتاحية : الرواية . الشخصية . النقد . السرديات . السيميائيات.

Abstract:
Through this article, we will seek to capture the theoretical aspects of the narrative personality as a central element in the novel's construction, and focus of special attention To the novel, in addition to the impossibility of conceiving a novelist's work without its presence as it Present for the novel is like the soul for the body, It also represents the axis in whose orbit the rest of the other narrative elements revolve, as the rotation of the planets around the sun. The statement of the novelist personality has also been a subject of wide interest among critics of various tendencies and inclinations, especially the narrators and semiotics , and the critical visions towards it varied according to The diversity of the intellectual and methodological standpoints of critics.

1 مقدّمة:

تتشكّل الرواية من عناصر تتآلف فيما بينها لتشكل بنية جامعة تتجسّد في النصّ الروائي، وتتمثل هذه البنيات السردية في: الزمن السردي، الفضاء الروائي، الشخصية الروائية، وبما أن النص الروائي عبارة عن سلسلة من الأحداث المترابطة، تقتضي وجود شخصيات تنهض بالقيام بأدوار مختلفة تختلف باختلاف الأدوار المسندة لها من طرف الكاتب.

فالشخصية الروائية هي من بنات أفكار المؤلف مثلها مثل غيرها من عناصر الرواية،يزوّدها بصفات فيزيائية ويشحنها بنوازع نفسية معينة، حتّى تكتمل صورتها فيدفع بها من مختبره السرّي إلى التجلّي عبر حيز الأحداث

لتمارس أدورها الفعلية والتلفظية ليكتمل نموّها وتكتمل صورتها لدى المتلقي . فخيال المؤلف هو الرحم الذي تنبثق وتتولد منه الشخصيات الروائية ليقذف بها إلى أتون الأحداث.

1- مفهوم الشخصية الروائية:

إذا ما تتبعنا أصول كلمة شخصية وذلك بالعودة إلى المعاجم اللغوية الغربية، نجد أن كلمة شخص « Personne » يعود ظهورها إلى حوالي القرن الثاني عشر للميلاد ومصدرها الأصل اللاتيني Persona» التي كانت تستعمل للدلالة على القناع الذي كان يتقنعه الممثل لأداء الدور المسنود له، ثم أصبحت تطلق على الدور ذاته، وبعد حوالي قرن أو أزيد من ذلك ظهرت للاستعمال كلمة « Personnage» "الشخصية". بالضبط حوالي منتصف القرن الثالث عشر للميلاد. لتستقّر دلالته على هذا المعنى في حدود القرن الخامس عشر للميلاد، في حين ارتبطت كلمة «Personnalité» بظهور علم النفس .[1] وانتقلت هذه الكلمة إلى المعجم العربي عن طريق الترجمة .

تعدّ الشخصية الروائية واحدة من أهم عناصر البناء الروائي التي لا غنى عنها، إذ تشكل هذه الأخيرة عنصر بنائي جوهري في الرواية وقطب الرحى فيها، فهي"**العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الأخرى**".[2]، ما يجعلها عنصرا مركزيا بالمقارنة مع مكونات وعناصر البنية السردية الأخرى، وعنصرا مفصليا يربط باقي العناصر الأخرى، وهي كالمنبع الذي يهب الحياة والوجود لباقي العناصر إذ " **لا تكون العناصر الأخرى إلا**

مظاهرة لها، أو راكضة في سبيلها أو دائرة في فلكها فلا الزمن زمن إلا بها ومعها ولا الحيز حيز إلا بها حيث تحتويه فليس في حقيقة الأمر يكون إلا بتأثير منها، ودافع من سلطانها ".(3)

وانطلاقا من كون القصة هي " **عرض لحادث أو سلسلة من الحوادث حقيقية كانت أو خيالية بواسطة اللغة ".**[4] فلا يمكن لهذه الحوادث أن تحدث دون وجود شخصية تصنعها وتحركها .

وفي ضوء ما تقدم نستنتج أنه لا يمكن في حال من الأحوال تصور عمل قصصي أو روائي يخلو منها؛ لصعوبة تصور وجود أحداث دون محدث ولا أفعال دون فاعل. فالأحداث مرهونة بوجود شخصيات تفعّلها وتصقلها وتنمّيها، كما تنفعل هي الأخرى معها وتنصهر بها . فمادام العالم الخارجي مليء بالشخصيات فلابد أن تكون الرواية كذلك بوصفها أداة التعبير عن هذا الواقع بكل تناقضاته، تسعى عبر أدواتها الخاصة إلى تمثيله ومحاكاته بأسلوب فني لا ينقل حيثياته كما تجري بل يخضعها إلى شروط الفن ومتطلباته، ولرؤية الكاتب لعالمه الخارجي " **فالنصّ ليس إلا تحويلاً مشفّرا للعالم بظواهره وحيثياته ".**(5).

فالشخصية هي التي تدفع بالحدث إلى التحقق فلولاها لغاب الفعل لانتفاء المحرّك والقائم بفعل الإنجاز، فهي التي تحرّك الأحداث وتؤثّر وتتأثّر بها. لذا لا يمكن الاستغناء عن وجودها في النص القصصي." **إذ لا يضطرم الصراع العنيف إلا بوجود شخصية ، أو شخصيات تتصارع فيما بينها ، داخل العمل السردي".**(6)

فالشخصية ديناميكية في جوهرها .تشكل القوة التي تحرك الواقع . تصنع بأفعالها وحركتها الحياة في الفضاء الذي تتحرك وتعيش فيه، فينتقل من فضاء سكوني جامد ميت، إلى فضاء يملأه النشاط الإنساني الخلاق المنتج، فالأمكنة مهجورة بلا أشخاص يصنعون يومياتها ويحركون ركودها و يملئون شوارعها، والبيوت الخالية من حركة ساكنيها لا معنى لها، فإن كنّا لا نستطيع تخيّل عالم خارجي بلا أشخاص .فالأمر ذاته بالنسبة للرواية لا يمكن تصورها مجردة من الشخصيات.

2- الشخصية و المكتابة الروائية بين الأمس واليوم:

أ- الرواية التقليدية وهيمنة الشخصية:

لم تحظ الشخصية في القرن الثامن عشر بالكثير من الاهتمام مثلها مثل المكان الذي لم يتعدّ كونه مجرد خلفية للأحداث، في حين أن الشخصية كانت مجرد مطية لتمرير خطابات ضمنية وأكبر دليل على هذه النزعة المتغلغلة في أوساط كتاب الرواية في ذلك العصر، هو أن الكثير من قصص وروايات أحد أشهر كتاب تلك المرحلة وهو "فولتير"« Voltaire » كان يستغلّ لقاءات شخصياته لتمرير مواقفه من قضايا عصره، فالغاية الأساسية لديه هي: "**استمالة القاري نحو رسالته الفلسفية، وجعل تلك الرسالة المشحونة بفلسفة الأنوار تعبر تلك الزوبعة بطابعها الهجائي وأرائها النفسية والاجتماعية الحادة** ".[7]

إن طريقة بناء الشخصية في الرواية التقليدية توجّه جهود الكاتب إلى العناية برسم دقيق لمعالم الشخصية من خلال العناية بجرد صفاتها

و ملامحها الجسدية والسلوكية على حد سواء. تصويرا مبالغا فيه إلى حدّ الإسراف، وهو ما يترجمه قول هنري جيمس" **ما الشخصية إن لم تكن محور الأعمال؟ و ما العمل إن لم يكن تصوير الشخصية؟ و ما اللوحة أو الرواية إن لم تكن محور وصف طبا ع الشخصية؟** ".[8] ، وهو ما يتفق مع تصور أرنولد بينات "Arnold Bennett " الذي يعدّ ذلك علامة فارقة على جودة النثر في قوله: " **إن أساس النثر الجيد هو رسم الطبائع ولا شيء آخر** ". [9]

إلى درجة ينسي القارئ أنه في مواجهة شخصيات فنية ويتوهم بأنها ذات وجود حقيقي يمتد إلى خارج أسوار النصّ " **فيتعامل القارئ فيها مع الشخصية على أنها كائن بشري يتحرّك بلحمه ودمه على الورق، وعلى أن الكاتب هو السارد الذي يحكي عنها دون تدخّل مباشر، وأحيانًا تحكي عن نفسها (ضمير المتكلم)** ".[10]

ووصل الاهتمام بالشخصية الروائية حدّا بعيدا دفع بأحد أشهر كتاب الواقعية فلوبير إلى التوقف عن كتابة إحدى رواياته، والسبب في ذلك هو أنه لم يجد أسماء تليق بشخصياته مصرحا أن:" **الاسم هو شيء ضروري للغاية في رواية ما. إنه شيء جوهري** ".[11] وهو موقف يتقاطع وينسجم مع قناعات بلزاك « Balzak » الذي يرى" **بأنّ هناك قارئ أخر سيركز اهتمامه على أيّ الأسماء أطلقت على الشخصيات**" [12] .

وكثير من الروايات الواقعية تجعل من الأحداث شيئا هامشيا طارئا لا قيمة له .إلا من خلال انعكاسها في نفسيّة الشخصية .و إتاحتها المجال

للغوص في العوالم الداخلية الباطنية للشخصيات، وإبراز أثارها وانعكاسها في نفسياتها، ومسوغا فنيا لتقديم عوالمها السرية وخواطرها ومناجاتها.

إن طريقة بناء الشخصية الروائية عند النقاد التقليديين هي معيار جيّد للحكم على العمل الروائي ككل، وعلى مقدرة صاحبه على رسم شخصيات مكتملة البناء. واضحة المعالم .ذات أدوار ووظائف محددة تنسجم مع طبيعتها من جهة، ومؤهلة للقيام بأدوارها المنوطة بها في تحريك الأحداث والمساهمة فيها بأفعالها، وقادرة على خلق تفاعل مع القارئ وإثارة إحساسه وقدرته على متابعة تفاصيل الرواية، كما تساهم في فهمه لجوانب العمل.

ب-الرواية الجديدة "هامشية الشخصية ومركزية الأشياء ":

والرواية الجديدة كما صرح بذلك ألان روب غرييه Alain robbe grillet « » **ليس المراد منها تأسيس نظرية أو مدرسة معينة للذين يتقاسمون نفس الرؤى، إنما هي ليست إلا دعوى للم شمل كل من يبحث عن شكل روائي جديد قادر على التعبير وخلق علاقة جديدة مع الإنسان والعالم " .**[13]

فمواقف كتاب الرواية الجديدة المهووسين بالتجريب يبدو أنها دقت آخر مسمار في نعش الشخصية الروائية .فغدت النصوص الروائية عندهم مجالا لتجاوزها والحد من غلوائها، فأضحت الشخصية في رواياتهم على إثرها بائسة ضائعة غريبة عن عالمها. ومجرد كائنات خيالية لا حياة فيها.

ويمكن تمييز أبرز نقاط الاختلاف بين كتاب الرواية التقليدية في الغرب وكتاب الرواية الجديدة في التعاطي مع الشخصية الروائية، وهو أن الفئة الأولى ركزت جهدها على كشف الحجاب عن الباطن السيكولوجي الإنساني، بالموازاة مع تقديم الجانب الظاهري عن طريق الوصف. في حين تحوّل اهتمام المجموعة الثانية نحو وصف الأشياء، وعملت الرواية الجديدة على تجاوز التقاليد الروائية الغربية في التعاطي مع الشخصية الروائية؛ حيث سعت إلى محاولة الحد من هيمنتها. فعمل كتابها على"**إهمال الشخصية وجانبها السيكولوجي، وتفتيت العقدة، مع التركيز على إنتاج أبنية أكثر شذوذا. والوصف اللامتناهي للأشياء المجردة من المنفعة ".**[14]

والرواية الجديدة قد طبقت ما كان يتوجس منه الفيلسوف والناقد المجري جورج لوكاش في كتابه الموسوم ب" **التاريخ والوعي الطبقي**" من أن الإنسان أصبح مهددا بل خاضعا للتشيؤ .وهذا لا ينفصل عن ما يحدث في المجتمعات الغربية من نجاح " **العقل الأداتي في تشيؤ الإنسان واستخدامه من قبل المؤسسات الاقتصادية والسياسية وأجهزتها الإيديولوجية القائمة على تكريس المصلحة والهيمنة بصورها المختلفة** " .[15]

وتأسيسا على ما سبق يمكنا القول بأن العناية بالشخصية ظهر في سياق تاريخي متميز شهدته المجتمعات الغربية في تلك المرحلة بفعل صعود قيمة الفرد بوصفه مصدر الحضارة والرقي، فلم تتخلف الرواية في الاحتفاء بالإنساني ممثلا في الشخصية الروائية بعد عقود شهد فيها الإنسان الغربي مختلف أشكال السيطرة في ظل المؤسسات السياسية والاجتماعية والدينية

الحاكمة التي كانت سائدة في أوروبا في مراحل سابقة. وكذلك الأمر بالنسبة للإهمال الذي تشهده الشخصية في الرواية والنقد معا اليوم راجع هو الأخر إلى انهيار مكانة الفرد في المجتمعات ذاتها بعد الحرب العالمية الثانية.

3- الشخصية الروائية والمنظور النقدي "من الكينونة إلى العلامة":

سجلت الشخصية حضورها في شعرية أرسطو. إلا أن هذا الحضور كان مرتبكا وباهتا، واحتلت الشخصية عند أرسطو موقعا هامشيا، إذ انصبت جهود هذا الأخير على الفعل أو الدور الذي تؤديه ما جعلها مجرد ضلال تابعة للحدث. " **فالأحداث هي المتحكمة في رسم صورة الشخصية وإعطائها أبعادها الضرورية والمحتملة ، وتصبح المأساة لا تحاكي عملا من أجل أن تصور الشخصية ولكنها بمحاكاتها للعمل تتضمن محاكاة للشخصية من حيث صفاتها الأخلاقية وما تعبر عنه من حقائق** ".[16]

ومن هنا يمكن القول بأن أرسطو نظر إلى الشخصية بعين الأحداث جاعلا إياها تذوب تدريجيا فيها إلى أن تسلب منها هويتها. فالشخصية ثانوية قياسا بباقي مكونات العمل التخييلي. تابعة للحدث غير مستقلة عنه. كما أن الأحداث هي التي تصنع الشخصية حسب أرسطو.

واستمرت هذه النظرة الأرسطية للشخصية قرونا من الزمن، ومع بداية القرن التاسع عشر عرف الموقف من الشخصية تحولا عميقا وانفراجا جذريا، وأخذت هذه الأخيرة في التبلور في أدبيات الكتاب الغربيين وفي دراسات النقاد، وبدأ الأدب والنقد ينزاحان شيئا فشيئا عن المعايير الأرسطية.ويرسمان لهما أفاقا جديدة مغايرة .

وفي هذه المرحلة لم يتمكن مفهوم الشخصية في الأَدب والنقد من الاستقلال عن المفاهيم النفسية والاجتماعية الحافِّة بها. فتارة تربط هذه النزعات النقدية التقليدية بين الأَثر الأَدبي والتحليل النفسي من خلال تحليل سلوك الأبطال الذين خلقهم الكاتب بحثا عن عقد نفسية وانفعالات داخلية. و أخرى تحول العمل الروائي إلى مرآة عاكسة لأزمة الفرد وضياعه في المجتمع الرأسمالي. وأخرى تعالج الشخصية من منظور الزمن والتاريخ ودورهما في رسم المصائر البشرية .

وعملت المناهج النقدية التقليدية على أنسنة الشخصية الروائية من خلال إسقاطها للواقعي بكل محمولاته النفسية والاجتماعية على الأدب. بفعل تأثر أصحابها بمنهجي التحليل النفسي والاجتماعي. من خلال التعامل مع النص الروائي على أنه وثيقة اجتماعية واعتبار النص، على أنه لا يعدو أن يكون " **أبسط وسيلة لفهم السياق ، وتغذي الاعتقاد بأن الأول ليس إلا شهادة عن الثاني. مع استحالة فهم النص دون معرفة سياقاته** " [17]، كما لا نستبعد أن يكون الاهتمام الذي لقيته الشخصية الروائية حينها راجع أيضا لتأثير الفكر الفلسفي على الأدب في تلك المرحلة إذ " **يعتبر الإنسان بجوانبه الشعورية والسلوكية الموضوع الرئيسي لمجمل التفكير الفلسفي** "[18].

وعوض إخضاع الشخصية الأدبية عند دراستها لمعايير الفن وأحكامه. نجد بعض النقاد يعمدون إلى محاكمة الشخصية على أساس قوانين أخلاقية بحتة هي من صلب الواقع وأعرافه الاجتماعية والثقافية والأخلاقية.

وتقييم أفعالها بالصواب والخطأ . وإصدار أحكام عليها من قبيل؛ شخصية إيجابية وأخرى سلبية .

وظلَّ مفهوم الشخصية ملتبسًا، غامض المداخل، متباين الممارسة ومتعدد الغايات .فالخلط في هذه الدراسات شديد بين الشخصية القصصية والشخص الواقعي. الأمر الذي جعل موضوع الشخصية الروائية من المواضيع الإشكالية في الممارسة النقدية المعاصرة خاصة منها في مجالي: السرديات والسيميائيات السردية، ومثار جدل واختلاف حاد في وجهات النظر، بحيث تجاذبتها العديد من الرؤى النقدية، أظهرت للعيان اختلاف النقاد وتباين أرائهم حول مقولة الشخصية في السرد القصصي ويتجلى ذلك خصوصا في انقسامهم حول تسميتها؛ حيث فضل جزء منهم مصطلح الشخصية personnage [19] ، وارتضى القسم الآخر مصطلح الفاعل أو العامل actant [20]، كما أن تسمية البطل héros.[21] الضاربة بجذورها في عمق الفكر الميثولوجي و الحكائي الإنساني لازالت شائعة الاستعمال لدى بعض النقاد.

عملت المناهج النقدية المعاصرة على تحرير الأدب من هيمنة الواقع ممارسة وتنظيرا عبر تكريس استقلالية النص الأدبي عن وهم المرجع، وفقدت الشخصيّة ملامحها المميزة وعمقها النفسي والاجتماعي والسياسي. فاسحة المجال لسيادة النص واللغة. وأدى ذلك إلى تجاوز التصور التقليدي النقدي للشخصية الروائية .فأصبح تحليل الشخصية يستند إلى معايير وظائفية بحتة. ويلغي أي فرضية لوجود كينونة أو وجود مسبق للشخصية

بعيدا عن الأحداث. حيث عمل النقد الجديد على الإجهاز على أي معطى قبلي للشخصية منتهكا تلك الحرمات المزعومة المسيجة حولها .

فالشخصية على حد تعبير رولان بارت مثلها مثل السارد مجرد "(كائنات من ورق) " « êtres de papier »".[22] تستمد دلالتها من خلال اللغة ، معيبا على التصورات السابقة، سعيها إلى مطابقة الشخص الواقعي بالشخصية الروائية أثناء تحليلهم لهذه المقولة الروائية . ويتفق معه تودوروف في هذا الجانب، إذ يرى هو الآخر " **أن الشخصية هي قبل كل شيء قضية لسانية لا وجود لها خارج الكلمات** ".[23]، لكنه أبقى على خيط رفيع يربط بين الشخصية والشخص كنوع من الإحالة بينهما كإشارة المحمول إلى حامله، في قوله: " **ومع ذلك فإن الرفض الكلي لوجود علاقة بين الشخصية والشخص يبقى مستحيلا: الشخصيات تمثل أشخاصا ضمن حدود خاصة بالخيال** » [24] .

فالشخصية هي علامة لغوية تصنعها اللغة لتحيا داخل النص الأدبي لا خارجه، لذا يتوجب على الناقد التعامل مع الشخصية وفق هذا المبدأ، والنظر إليها على أنها مجرد " **قطعة داخل نظام. هو قبل كل شيء نظام نصي يشكل الأصل بالنسبة لها** " [25]. ولا سبيل لمطابقتها مع الشخص الواقعي. فالفرق بينهما كالفرق بين المتخيل والواقعي. كما أنه لا سبيل إلى عزلها أثناء تحليلها عن غيرها من الشخصيات التي تشاركها العمل " **فأي شخصية لا يمكن دراستها منعزلة عن غيرها. لأن ذلك سيؤدي إلى خروج الدراسة عن مجال النقد** " [26]

ويعود الفضل في استجلاء الدور الذي تقوم به الشخصية في الحكاية إلى الباحث الشكلاني الروسي" **فلاديمير بروب** " "Vladimir Propp" في مؤلفه المعنون بـ"**مورفولوجيا الحكاية الخرافية الروسية**" والذي أشار فيه إلى سر استخدامه في عنونته له مصطلح (مورفولوجيا) قائلا: "**اسم مورفولوجيا يعني في علم النبات دراسة الأشكال، ينصرف اهتمامه إلى دراسة مكونات البنية، وعلاقة أجزائها ببعض. وعلاقة هذه الأجزاء بالكل. وبتعبير أخر هي دراسة لبنية نبتة** " .[27]

قدم بروب في كتابه جملة من المعارف الحديثة، يمكن اعتبارها بمثابة انعطافة نحو أفق منهجي مخالف لما كان سائد قبله، ركز فيه على القوانين التي تتحكمّ في بنية الخرافة الشعبية استنادا إلى ما تؤديه الفواعل من وظائف داخل النسق الحكائي، بوصفه إطاراً يمنح مختلف الفواعل مساحتها الخاصة ومجالا لحركتها؛ من حيث هي عناصر ثابتة في المبنى الحكائي تكشف عن قواعد وقوانين السيرورة الوظائفية وآليات اشتغالها، لتكون هذه القوانين صالحة لاختبار على كل النصوص الحكائية، والوظيفة هي "" **عمل أو دور معين تقوم به شخصية معينة في موقف ما. بوصفها قوة داخل نظام من القوى** ".[28] ، وتجدر الإشارة هنا إلى أنه بإمكان مجموعة من الشخصيات أن تشترك في انجاز وظيفة واحدة، كما يمكن لشخصية واحدة أن تقوم بانجاز مجموعة من الوظائف.[29]

واعتبر بروب أسماء الشخصيات وأوصافها وطبائعها عناصر متغيرة لا تملك أهمية واضحة في التحليل، على عكس الأفعال والوظائف فهي ثابتة،

ما دفعه إلى استبعادها أثناء التحليل. وما يهم التحليل حسب رأيه هو " **التساؤل عما تقوم به الشخصيات، أما من فعل هذا الشيء وكيف؟ فهي أسئلة لا يمكن طرحها إلا باعتبارها توابع لا غير** ".[30]

وقد حدد بروب واحد وثلاثون وظيفة تنتمي إلى دوائر فعل سبع كبرى تسمى (دوائر الفعل) وهي: الواهب (Agresseur ou méchant)، المساعد (Donateur)، الأميرة (Princesse)، الباعث(Mandateur) ، البطل (héros)، البطل المزيف (Faux Héros).

وتنتظم هذه الوظائف وتتابع ضمن سلسلة من بداية الحكاية إلى غاية نهايتهما وتتكامل مع بعضها البعض.

ويبدو أن الموقف من اسم الشخصية وصفاتها وطبائعها لا ينحصر فقط عند بروب، بل يشاركه الرأي ناقدا شكلانيا آخر هو توماشفسكي (TOMACHVSKI) حين يقول: " **إن البطل ليس ضروريا، وبإمكان القصة كنسق من الحوافز أن تستغني استغناء تام عن البطل وسماته المحددة** ".[31]، وعرف فسلوفسكي « Veselovsky » الحبكة على أنها فسيفساء

من الحوافز في قوله: " **العقدة هي سلسلة من الحوافز تنمو وتتطور داخل أطرها** " [32].

وتعد دراسة فلاديمير بروب لبنية الوظائف في الحكاية الشعبية الروسية بمثابة فاتحة عهد جديد نفض الغبار عن تراث غني وهو الحكاية الشعبية والخرافية، ووجهت

اهتمامات العديد من النقاد إليها دراسة وتحليلا.وحفرا في بنياتها واستجلاء لوظائفها.[33]

لكن الذين تبنوا دراسة فلاديمير بروب في تحليل أفعال الشخصيات من بعده قد سارعوا إلى انتقاد بعض النتائج التي توصل إليها في تحليله لبنية الحكاية الخرافية الروسية، لاسيما في جانب الوظائف وعلى رأس هؤلاء البنيوي الفرنسي كلود ليفي شتراوس .

وأبرز ملاحظة يمكن تسجيلها على المشروع البروبي هو أنه ركز اهتمامه على فاعلية الاشتغال الوظائفي، وعلى ما تؤديه الشخصيات من أفعال وأدوار داخل الفضاء الحكائي مبرزا تسلسل الأحداث وتواترها في الحكاية (*) نتيجة لترابط الوظائف وتسلسلها. وفي مقابل ذلك أهمل كينونة الشخصية وعالمها الداخلي وخصوصيتها كذات وحساسيتها داخل العمل الأدبي .فالشخصية ليست مجرد آلة لإنتاج الفعل والحركة في النص السردي بل لها ملامحها الخاصة التي تتميز بها عن غيرها كما لها عالما داخليا يختزل مشاعرها وأحاسيسها. كما أن هذا الكم الهائل من الوظائف التي اقترحها بروب يستحيل أن تتوفر جميعها في كل الحكايات .

ومن الملاحظات التي سجلها كلود بريمون على مشروع بروب هي:

هناك بعض الوظائف يمكن الاستغناء عن ذكرها دون أن يحدث ذلك انقطاع في السلسلة الوظائفية، ولا يؤدي إلى حدوث أي تغير في ترتيب باقي الوظائف، فالمشاهد الآتية: **خروج البطل. عودة البطل، و المطاردة .المساعدة** ، يكفي ذكر احدهما لاستنتاج وجود الأخر بالضرورة،

حيث نلاحظ أن الوظيفتين المتضادتين: خروج البطل تتضاد مع عودته وتتضمنها. كما أن وظيفة المساعدة تسبقها بالضرورة وظيفة المطاردة، وعودة البطل يسبقها خروجه. فالسرد يعمل حينئذ على اقتصاد التحولات. ولنلاحظ المشاهد الآتية رغم الثغرات التي تعتريها تتضح كيف أن كل وظيفة تنتمي إلى نفس النوع مع التي تعارضها:[34]

الحكاية (أ): و1 ← و2 ← و4 ←

الحكاية (ب): ← و2 ← و3 ← و4 ← و5

الحكاية (ج): و1 ← و3 ← و4 ← و5

وكلها تتضمن نفس الصيغ البنيوية:

و1 ← و2 ← و3 ← و4 ← و5

(بحيث و= الوظيفة)

ارتكز الناقد اللساني البنيوي "كلود ليفي شترواس" Claude Lévi- Strauss" في تحليله لـ"أسطورة أوديب" في كتابه الموسوم بـ"الأنثربولوجية البنيوية" "structurale Anthropologie "."[35] على أرضية لسانية متبينا أدواتها ومصطلحاتها، وبيّن ليفي ستراوس الأهمية الوظيفية للوحدات اللسانية الصغرى، وعمل على اقتفاء أثرها متدرجا من أصغر وحدة التي هي (الفونيم) مرورا بالوحدة الصرفية (المورفيم) ثم الوحدة الدلالية (السيمانتيم) معتبرا أن الأسطورة إضافة إلى كونها تجلّي لساني في بنيتها السطحية فهي في مستوى آخر تمثل انعكاس للبنية الاجتماعية والعلاقات التي تضمرها.

ولعل الخصوصية التي تميز الأنموذج التحليلي لكلود ليفي ستراوس تكمن في حسن استفادته من أدوات التحليل اللساني وتطبيقها على العمل الأدبي المتمثل في الأسطورة، وهو الأمر الذي صار تقليدا دأب عليه النقاد الذين جاءوا من بعده [(*)]

يرى ألجيرداس جوليان غريماس "A. Julien Greimas" بأن اختبار مدى فاعلية التحليل السردي وثرائه المنهجي يكمن في مدى تحقق إمكانية " **تطبيقه على ميادين أخرى غير الفلكلور والأسطورة** ".[36]

ويلتقي غريماس مع بروب في النظر إلى الشخصية بوصفها فاعلا يضطلع في السياق الحكائي بأداء دور معين أو وظيفة ما، ومنها تستمد وجودها وشرعيتها في عالم الحكاية، وليس على أساس أنها ذات تملك وجودا قبليا، كما كانت تعامل من قبل النقاد التقليديين.

وعمل غريماس على سد الثغرات المسجلة في المشروع البروبي و سعى لإقامة نموذج شامل لنظرية العامل لم يتوقف عند حدود الكشف عن أوجه الضعف في المشروع البروبي رغم إقراره بدوره البارز في تطوير دراسة الفواعل في النصوص الحكائية، معتبرا أن هذا الأخير رغم اغتنائه بالملاحظات النقدية القيمة إلا أنه يفتقد للدّقة والصرامة العلمية المطلوبة، وعمل غريماس على وضع نموذج نحوي أكثر صلابة منهجيا وإجرائيا مستفيدا من تصور بروب وأفكار ليفي شتراوس، منطلقا هو الآخر من فرضية وجود أشكال كونية عامة تنظم السرد، وصالحة للتطبيق على كل السرود، وعمل غريماس على أن يكون أنموذجه أكثر علمية وقادر على تحديد حركة الفواعل ووظائفها داخل النظام الحكائي من خلال تسليط الضوء على القواعد والقوانين التي تتحكم في توليد الأفعال.

ومن الملاحظات التي سجلها غريماس على نموذج بروب هو أنه وقع في بعض المطبّات وتخللته الكثير من الثغرات منها على سبيل المثال اعتبار بروب

بعض الحالات الناتجة عن تحولات قبلية وظائف فإذا كان" **(خروج البطل) يبدو وظيفة تقابل شكلا من النشاط ، فإن (النقص) يبعد أن يمثل فعلا ولكن الأحرى أن يمثل حالة ولا يمكن اعتباره وظيفة".**[37] واقترح غريماس مصطلحي: العامل والممثل بديلا عن مصطلح الشخصية، وجاء مشروعه مشكلا من مجموعة من الثنائيات المتقابلة التي تختزل أدوار الفواعل ووظائفها داخل النصوص الحكائية مؤسسا عليها نموذجه العاملي (Modèle actanciel) بوصفه **" نظام خاضع لعلاقات قارة بين العوامل من حيث هو صيرورة قائمة على تحولات متتالية " .**[38]

ويتكون النموذج العاملي من ثلاث مجموعات تضم كل واحدة منها زوجا من الأضداد تترابط مع بعضها البعض وفق علاقات منطقية، وترد على الشكل التالي :

1- الفاعل – الموضوع
2- المرسل- المرسل اليه
3- العامل المساعد- العامل المعيق(الضديد) .

فكل فاعل يتحرك صوب موضوع رغبة ويسعى لتحقيقه وتحدد علاقته به إما بالاتصال في حالة نجاحه في الحصول عليه ، أو الانفصال في حالة عجزه عن تحقيق ذلك، وتسمى العلاقة القائمة بين الذات وموضوعها بـ"**علاقة الرغبة**"« Relation de désir »، ووراء كل رغبة دافع يحركها يسميه غريماس مرسلا " Destinateur" يتوجه إلى عامل آخر يصطلح عليه بالمرسل إليه" « Destinataire »،وتسمى العلاقة بينها **علاقة الاتصال**

« Relation de communication » كما يسند الذات ويدعمها في سبيل الحصول على موضوعها عاملا يسمى العامل المساعد " Adjuvant"، ويعارضها ويحول بينها وبين موضوع رغبتها عاملا آخر يكنى بالضديد أو العامل المعارض" L'opposant " فتنشأ بينهما علاقة الصراع" Relation lutte de". والترسيمة التالية توضح العلائق بين هذه الفواعل :

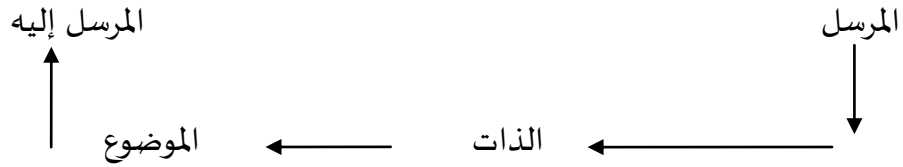

وباجتماع العلاقات الثلاث (الرغبة، والتواصل، والصراع) تكتمل ملامح النموذج العاملي عند غريماس، ليغدو على الشكل التالي:

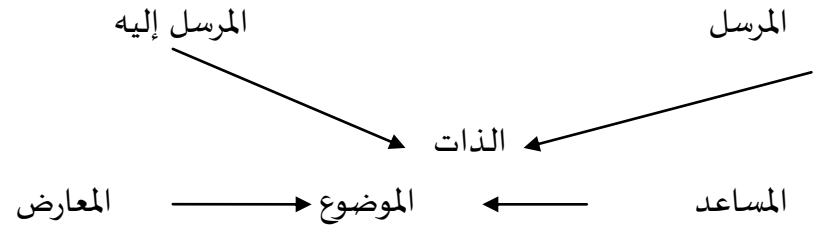

أضحى مشروع غريماس اليوم نموذجا تحليليا قادراً على استيعاب تموّجات حركة الإبداع وخاصة تلك التي تتصل بالنصوص السردية وأثبت قدرته على الإفادة من النتائج المُتمخّضة عن المشاريع النقدية السابقة عليه.

سعى النقاد السيميولوجيون إلى محاولة استكشاف أدوات إجرائية قادرة على تفعيل المنظور النقدي وإمداده بالوسائل الإجرائية الضرورية القادرة على خلق أفق نقدي يسمح برؤية أعمق لمقولة الشخصية الروائية. ومن ثم إبراز مكوناتها وجوانبها المختلفة ووظائفها داخل العمل الأدبي وكشف قوانينها الخاصة .

وعرف هامون الشخصية " **بأنها مجرد بياض و مورفيم فارغ ، يأخذ في الامتلاء تدريجيا إلى أن يمتلئ كليا مع آخر صفحة من النص**".[39] ومن هنا يتضح تجاوزه لمفهومي الشخص والشخصية لصالح العامل و ربطه للشخصية بالوظيفة النحوية التي تضطلع بها داخل النص . فأقام فيليب هامون (Philippe Hamon) نمذجة سيميولوجية ثلاثية المحاور في محاولة لوضع مخطط فعال لدراسة الشخصية الروائية بإمكانه استيعاب جميع أنماط الشخصيات الروائية : [(40)]

1- فئة الشخصيات المرجعية "Une catégorie de personnages-référentiels"

2- فئة الشخصيات الإشارية : "Une catégorie de personnages- embrayeurs "

3- فئة الشخصيات الاستذكارية : "Une catégorie de personnages-anaphores"

فالفئة الأولى تشتمل على الشخصيات التاريخية " personnages historiques " و الأسطورية "mythologiques" والمجازية"allégoriques"، والاجتماعية "sociaux"، وهي شخصيات ذات

معنى قار ضمن حقل معرفي أو ثقافي معين . تحمل في ذاتها إشارات مرجعية، وهي خيوط تماس بين الواقع و الأدب (L'Effet de Réel) كما سماها رولان بارت Roland Barthes في دراسته لأعمال فلوبير .[41] أما الثانية فهي أمارة دالة على حضور المؤلف أو القارئ أو من يعوضهما داخل النص، أما الفئة الثالثة فهي ذات وظيفة سيميولوجية محددة في ربط الوظائف بعضها ببعض عبر الاستذكار والتأويل.

وتوصل فيليب هامون في دراسته للشخصية الروائية إلى مجموعة من النتائج أبرزها أن الشخصية الروائية هي علامة لسانية تتوزع داخل الملفوظ السردي عن طريق دال متقطع يتمظهر في صورة علامات وسمات. ويتعين دور القارئ في عملية إعادة بناءها باستجماع علاماتها من مجموع النص بعد استكمال قراءته له.

وفي ضوء ما تقدم نستخلص أن الشخصية عند السيميولوجيين أخذت مفهوما نحويا صرفا، فالفاعل هو القائم بالفعل على مستوى الجملة النحوية وهو نفس الأمر على مستوى القصة بوصفها تتابعا لجمل نحوية .

- **المراجع باللغة العربية:**

1- الصادق قسومة : طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر ، تونس ، 2000 .

2- جوزيف كورتيس: مدخل الى السيميائيات السردية والخطابية ، ترجمة: جمال حضري،الدار العربية للعلوم ناشرون،2007

3-حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء ، الزمن، الشخصية)، ،المركز الثقافي العربي ، ط1،الدار البيضاء، 1990 ،ص202
4-حميد لحميداني : بنية النص السردي(من منظور النقد الأدبي) ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1991 ،الدار البيضاء.
5- جوزيف كورتيس: مدخل الى السيميائيات السردية والخطابية ، ترجمة: جمال حضري،منشورات الاختلاف .2007 . الجزائر.
6- خالد حسين : تحولات القراءة ((من النقد النصي الى النقد الثقافي))، مجلة الموقف الأدبي .مج 40، ع478 ، فيفري 2011. إتحاد الكتاب العرب . دمشق.
7- عبد المالك مرتاض : تحليل الخطاب السردي(معالجة تفكيكية سيميائية لرواية زقاق المدق) ديوان المطبوعات الجامعية ، 1989، الجزائر.
8-عبد المالك مرتاض : تحليل الخطاب السردي(معالجة تفكيكية سيميائية لرواية زقاق المدق) ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1989، ص.127
9-عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية(بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة ، ع240 ، ديسمبر 1998، ص 76.
10- عمر عبد الواحد: شعرية السرد(تحليل الخطاب السردي في مقامات الحريري) ،دار الهدى للنشر والتوزيع، ط1 ، 2003 ،ص 128
11- كمال بومنير: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، " من ماكس هوركهايمر الى أكسل هونيث" ، منشورات الاختلاف، ط1، 2010 ،

12-فيليب هامون : سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بن كراد، دار كرم الله للنشر والتوزيع، الجزئر .دط، 2012 .
13-محمد اقضاض وآخرون : الرواية المغربية أسئلة الحداثة، دراسات، ضمن موضوع (الشخصية في الرواية الحداثية المغربية)، د . ط ، دار الثقافة، الدار البيضاء، د . ت، ص219.
14-محمد ناصر العجيمي : في الخطاب السردي (نظرية غريماس)، الدار العربية للكتاب، (دط)، 1991 ، تونس،.
15- عبد المالك مرتاض : تحليل الخطاب السردي(معالجة تفكيكية سيميائية لرواية زقاق المدق) ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1989، ص.127
16- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية(بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة ، ع240 ، ديسمبر 1998، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت .
17- عمر عبد الواحد: شعرية السرد(تحليل الخطاب السردي في مقامات الحريري) ،دار الهدى للنشر والتوزيع، ط1 ، 2003 ،

المراجع باللغة الأجنبية:

1- Alain robbe grillet : pour un nouveau roman. Edition minuit.pqris.
2- Algirdas. Julien Greimas :Éléments d'une grammaire narrative . In: L'Homme, 1969, tome 9 n°3. École des hautes Études en sciences sociales .paris.

3- Claude Bremond :La famille séparée. In: Communications, N39, 1984 Édition : seuil. Paris.
4- Claude Bremond :Le message narratif In: Communications.N4, 1964 Édition seuil. Paris
5- Claude Bremond : Morphologie d'un conte africain. In: Cahiers d'études africaines. Vol 19 N°73. 1979 . france..
6- Claude Lévi- Strauss : Anthropologie structurale, éditions Plon, Paris 1958.
7- Dauzat Albert et autres, Dictionnaire étymologique et historique, Larousse 1971, Paris
8- Dominique Barlési ; Fonction et langue des personnages dans les nouvelles historiques de Bestužev- Marlinskij. In: Revue des études slaves, Tome 49, 1973. Communications de la délégation française au VIIe Congrès international des slavistes Varsovie, 21-27 août 1973. france
9- Eugen Cizek: Le roman « moderne » et les structures du roman antique.
In: Bulletin de l'Association Guillaume Budé : Lettres d'humanité, n°33, décembre 1974.france.
10- Gerard génette , Figure II . coll. Points. Edition seuil .1969. paris .
11-Georg Lukacs : Novalis et la philosophie romantique de la vie. Tard: Lucien Goldmann. In: Romantisme ,N1-2.1971 Edition : flammararion .France.

12- Henri MITTERAND ; Le système des personnages dans "Germinal. In: Cahiers de l'Association internationale des

études françaises, Société d'édition « les belles lettres » . 1972, N°24. Paris.
13 -Lucien Goldmann : le dieu caché. Edition : Gallimard .paris.1956. .
14- Jean Pommier: Comment Balzac a nommé ses personnages. In: Cahiers de l'Association internationale des études françaises, Société d'édition «les belles lettres ». N°3-5. 1953. France.

15 -Lucien Goldmann : le dieu caché. Edition : Gallimard .1956.paris.
16 ˙Oswald Ducrot/ Tzvetan Todorov : Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage. Éditions du Seuil 1972 .paris.
17 -Philippe Hamon: Pour un statut sémiologique du personnage .In:
Littérature, N°6, 1972. Littérature. Mai 1972.france
18-Serge-René Fuchet : Lieux et personnages romanesques au XVIIIe siècle. Edition Publibook .2009. paris.
19- Roland Barthes : Introduction à l'analyse structurale des récits . Communications. N8.edition seuil. 1966. Paris.
21- Roland Barthes : L'effet de réel . In: Communications,N11, 1968. Recherches sémiologiques le vraisemblable. Ed seuil. Paris
.
21-Tzevetan. Todorov et O. Ducrot, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Seuil, 1972.Paris,

22- Tzvetan Todorov : L'analyse du récit à Urbino 1968. In: Communications,. Recherches sémiologiques le vraisemblable. N11, 1968. france.

- الهوامش

[1]- Voir : Dauzat (A) et autres, Dictionnaire – Larousse étymologique et historique, 1971 Paris, p 555.

[2] - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء ، الزمن، الشخصية)، ،المركز الثقافي العربي ، ط1، 1990 .الدار البيضاء ،ص202

[3]- عبد المالك مرتاض : تحليل الخطاب السردي ، (معالجة تفكيكية سيميائية لرواية زقاق المدق) ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1989.ص127.

[4] - Gerard génette , Figure II . coll. Points. Edition seuil . paris .1969. P : 49

[5] خالد حسين : تحولات القراءة ((من النقد النصي الى النقد الثقافي))، مجلة الموقف الأدبي .مج 40، ع478 ، فيفري 2011. إتحاد الكتاب العرب .دمشق . ص 17

[6] عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية(بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة ، ع240 ، ديسمبر 1998 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت، ص 76.

[7] - Serge-René Fuchet : Lieux et personnages romanesques au XVIIIe siècle. Edition Publibook .2009. paris. P10.

[8] الصادق قسومة : طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر ، تونس ، 2000 ، ص 96.

[9]– T. Todorov et O. Ducrot, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage
Seuil, 1972, , Paris, p 286.

[10] محمد اقضاض وآخرون : الرواية المغربية أسئلة الحداثة، دراسات، ضمن موضوع (الشخصية في الرواية الحداثية المغربية) ، د . ط دار الثقافة، الدار البيضاء، د . ت، ص219.

[11] - Jean Pommier: Comment Balzac a nommé ses personnages. In: Cahiers de l'Association internationale des études françaises, Société d'édition «les belles lettres ». N°3-5. 1953. France .p223.

[12] Jean Pommier: Comment Balzac a nommé ses personnages. P223.

[13]- Alain robbe grillet : pour un nouveau roman. Edition minuit .paris.2012. p7

[14]- Eugen Cizek: Le roman « moderne » et les structures du roman antique.
In: Bulletin de l'Association Guillaume Budé : Lettres d'humanité, n°33, décembre 1974. france. p425

[15] - كمال بومنير: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، " من ماكس هوركهايمر الى أكسل هونيث" ، منشورات الاختلاف، ط1، 2010 الجزائر. ص15 .

[16]- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي (الفضاء- الزمن- الشخصية) ، ص 208.

[17] -Tzvetan Todorov : L'analyse du récit à Urbino 1968. In: Communications, 11, 1968. Recherches sémiologiques le vraisemblable. p167.

[18] -Lucien Goldmann : le dieu caché. Edition : Gallimard .paris.1956. p16

[19] -Philippe Hamon: Pour un statut sémiologique du personnage .In: Littérature, N°6, 1972. Littérature. Mai 1972.france. p86

[20]- A. Julien Greimas :Éléments d'une grammaire narrative . In: L'Homme, 1969, tome 9 n°3. École des hautes Études en sciences sociales .paris. p71

[21] -Georg Lukacs : Novalis et la philosophie romantique de la vie. Tard: Lucien Goldmann. In: Romantisme, Edition : flammararion .France. n°1-2. 1971,. P22.

[22]- Roland Barthes : Introduction à l'analyse structurale des récits :in Communication N8 edition seuil. 1966.p19.

[23] -Oswald Ducrot/ Tzvetan Todorov : Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage. Éditions du Seuil 1972 .paris. p286

24 Oswald Ducrot/ Tzvetan Todorov : Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage p 286.

[25]- Henri MITTERAND ; Le système des personnages dans "Germinal. In: Cahiers de l'Association internationale des études françaises, Société d'édition « les belles lettres » . 1972, N°24. Paris. P175.

[26] - Henri MITTERAND ; Le système des personnages dans "Germinal .p175

[27]- Claude Bremond :Le message narratif In: Communications, 4, 1964. Édition : seuil. Paris. P5.

[28]- Dominique Barlési ; Fonction et langue des personnages dans les nouvelles historiques de Bestužev- Marlinskij. In: Revue des études slaves, Tome 49, 1973 .france. P9.

[29] Voir : Claude Bremond :Le message narratif; p 9

[30] -حميد لحميداني : بنية النص السردي(من منظور النقد الأدبي) ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ،الدار البيضاء ، 1991 ، ص23 .

[31] - عمر عبد الواحد: شعرية السرد(تحليل الخطاب السردي في مقامات الحريري) ،دار الهدى للنشر والتوزيع، ط1 ، 2003 ،ص 128

[32]- Claude Bremond :Le message narratif In: Communications, 4. P6.

[33]: ينظر على سبيل المثال الدراسات التالية التي ركزت جهودها على تحليل لحكاية الشعبية :

- Claude Bremond : Morphologie d'un conte africain. In: Cahiers d'études africaines. Vol. 19 N°73-76. 1979. Paris.
- Claude Bremond :La famille séparée. In: Communications, 39, 1984. Les avatars d'un conte . Édition : seuil. Paris.

(*) والحكاية كما عرفها كلود بريمون " **تتركب من متوالية أحداث تدرك من خلال وعي شخصية معينة .تتناول قيما ايجابية أو سلبية . وأي انقطاع أولي في وضعية التوازن يؤدي إلى تداعي العقدة** "

Voir : Claude Bremond : Morphologie d'un conte africain. P485.
34- Voir : Claude Bremond :Le message narratif In: Communications, 4, 1964. Édition : seuil. Paris. P7
[35]- Claude Lévi- Strauss : Anthropologie structurale, éditions Plon, 1958 .Paris.

[*] ويأتي على رأس هؤلاء النقاد ألجيرداس جوليان غريماس .

36 - A. Julien Greimas : Éléments d'une grammaire narrative. In: L'Homme, 1969, tome 9 n°3. École des hautes Études en sciences sociales .paris. p71.

[37] جوزيف كورتيس: مدخل الى السيميائيات السردية والخطابية ، ترجمة: جمال حضري،الدار العربية للعلوم ناشرون،2007 ص 17.

[38] محمد ناصر العجيمي : في الخطاب السردي (نظرية غريماس Greimas)، الدار العربية للكتاب، (دط)، 1991 ، تونس، ص38.

[39] Philippe Hamon: Pour un statut sémiologique du personnage. In: Littérature, N°6. Edition. Larousse . Mai 1972 .paris .p116

[40] -Voir :Philippe Hamon: Pour un statut sémiologique du personnage: P 95 .

مع الاستعانة بترجمة كتاب : فيليب هامون : سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بن كراد، داركرم الله للنشر والتوزيع، دط، 2012 . الجزئر.

[41]- Voir : Roland Barthes : L'effet de réel . In: Communications,N 11, « Recherches sémiologiques le vraisemblable ». Ed seuil. 1968. Paris.

اللغة الرقمية: إشكاليات الحفاظ وتداعيات الاستخدام

Digital Language for Youth: Problems of Preservation and Implications for Use

أ.د الطيب جبايلي ـ جامعة الشهيد العربي التبسي
tdjebaili60@gmail.com
د. كريمة عثماني ـ جامعة محمد الشريف مساعدية
atmanikarima41@gmail.com

الملخص:

إن الخطاب الاحتفائي الذي قُدّمت به الوسائط الرقمية الحديثة كثف من حضور الجيل الشبابي في منصات التواصل الاجتماعي، ومواكبة ما أبدعته هذه الأخيرة من رؤى فكرية وتواصلية أثرت بنيويا على التمثلات الاجتماعية لهذا الجيل، بمعطياتها الهوياتية والتي تعتبر اللغة العربية إحدى ركائزها.

لذا تتقصى هذه الدراسة إشكالية الحفاظ على الهوية اللغوية للشباب العربي في الفضاء الرقمي، وما فرضه من رموز ودلالات لغوية تواصلية بمنطق رقمي طغت عليه لغة النت كبديل جديد عن لغة الحياة الواقعية والاجتماعية، وهذا ما دفعنا للتساؤل عن ماهية تجليات استخدام لغة النت؟ وهل أثرت على الكفاءة اللغوية للشباب العربي؟ ما هي أشكال هذه اللغة؟ وما مصير اللغة العربية في الفضاء الرقمي؟ وهل شوهت وسائل التواصل الاجتماعي اللغة العربية؟ وكيف أثر ذلك على المهارات اللغوية للشباب العربي؟ وكيف أثر ذلك سياقيا على البنى الاجتماعية؟

الكلمات المفتاحية: الإعلام الجديد- شبكات التواصل الاجتماعي-لغة النت- الهوية.

Abstract :

The discours festif ported by les modern media numbers an intensify the presentation of the jeune generation on the plateformes of the media sociaux, and a suivi les visions intelligences and communications created by this dernière, which ont structurellement affects the social representations of this generation, avec ses données identitaires, de dont la langue arabe est l'un de ses piliers. Therefore, this study examines the problem of preserving the linguistic identity of Arab youth in the digital space, and its imposition of communicative linguistic symbols and semantics with a digital logic dominated by the language of the Internet as a new alternative. to real language and social life.

This led us to ask ourselves what are the manifestations of the use of the language of the Internet? Has this affected the language proficiency of Arab youth? What are the forms of this language? What is the fate of the Arabic language in the digital space? Have social networks distorted the Arabic language? How has this affected the language skills of Arab youth? And how did this contextually affect social structures?

keywords:
New media - social networks - Internet language - identity.

01-مقدمة:

تعتبر شبكات التواصل الاجتماعي تسونامي اتصالي أسس لنموذج تواصل جديد يتصف بالخصوصية والمجهول، من جهة وسرعة التجدد والتحديث من جهة أخرى، مكنته بقوة من اختراق المجتمعات البشرية واستطاع بقوة

إفقادها هويتها، ومضمونها الثقافي بأبعاده المختلفة، حيث أصبحت مجتمعات بهويات متعدد، هجينة وغير معروفة.

ويمكننا القول هنا أنه لطالما أثيرت علاقة الشباب بالاتصال والإعلام عامة وتكنولوجيات الاتصال الحديثة خاصة من منظور علاقة الشباب بالتكنولوجيا، مرونتها والفضول الذي تثيره لديهم أو علاقة الشباب بوصفه فئة عمرية تعيش مرحلة انتقالية نحو الرشد أكثر من كونه شريحة اجتماعية محددة في هوية التحولات السوسيوتاريخية التي من المحتمل أن يعيشها أي مجتمع عزلت هذه، ولا زالت العمق السوسيولوجي والفعل التواصلي لعلاقة الشباب بالميديا لتركن وراء خطاب تبريري يشرع ما يريده الشباب، أو يلطف الموقف الاحتوائي للشباب، ولا تحتمل هذه المقاربة عن مساءلة إشكالية علاقة الشباب بالاتصال والإعلام من منظور مجتمعي يجمع أكثر ما يقصي.

هكذا أصبح المحتوى الموجه للشباب على شبكة الإنترنت على سبيل الذكر أسير الطلب، وبات التفكير فيما يحتاجه الشباب من مضامين مهمشا كهامشية الشباب ذاته[1]، وهذا أثار جدلية بناء الهوية أو إعادة تشكيلها بصياغة حكاية المكان والزمان، وربطه بعالمنا الواقعي والعمل بآليات علمية ومنهجية على الإشباع الفكري والثقافي لشبابنا حتى يميز بين الدخيل والأصيل، وتمكينه من مقوماته الهوياتية لا سيما اللغوية أثناء انفتاحه على الآخر مع ضمان الحفاظ على خصوصيته الهوياتية اللغوية، واسترجاع نزعته الاجتماعية بعيدا على الفردانية التي أسست لها شبكات التواصل الاجتماعي المفعمة بطابع التقانة.

أما الحديث عن اللغة في ظل امتطاء الشباب لموجة العالم الافتراضي على نحو مكثف لم يأتي عبثا ذلك أنها ابرز مقومات الهوية التي أضحت في خطر شديد يهدد إرثها ومكوناتها اللغوية والثقافية، فالمجتمعات الإنسانية لم تعرف الثقافة إلا عندما عرف الإنسان كيف يشير للأشياء والعلاقات، أي أن ظهور الثقافة ارتبط بظهور الرموز أو العلامات التي تكون نظام اللغة حيث عرفها الأنثروبولوجيون بأنها الوعاء الحامل للثقافة فهي نتاج فكري، ونظام الرموز التي تحمل في طياتها مختلف المعاني والمدلولات على كل الأشياء المجردة والعينية[2].

وهذا ما دفعنا للتساؤل عن ماهية تجليات استخدام لغة النت؟ وهل أثرت على الكفاءة اللغوية للشباب العربي؟ ما هي أشكال هذه اللغة؟ وما مصير اللغة العربية في الفضاء الرقمي؟ وهل شوهت وسائل التواصل الاجتماعي اللغة العربية؟ وكيف أثر ذلك على المهارات اللغوية للشباب العربي؟ وكيف أثر ذلك سياقيا على البنى الاجتماعية؟

ولتحقيق الهدف من الورقة البحثية قمت بتقسيمها لأربعة محاور على النحو التالي:

1. تحديد المفاهيم.
2. الهوية ورهان الحفاظ على الهوية الذاتي في العوالم الافتراضية.
3. تأثير الوسائط الرقمية على الهوية اللغوية للشباب.

العوامل التي أسهمت في التغيرات التي أصابت استعمال اللغة العربية.

المحور الأول: تحديد المفاهيم:

1- الإعلام الجديد:

هو كل أنواع الإعلام الرقمي التي تقدم شكلا تفاعليا بصور حديثة مثل شبكات المعلومات ومواقع التواصل الاجتماعي، والمدونات والمنتديات وغرف المحادثات فهو إعلام شخصي فردي، وتتميز وسائل الإعلام الجديدة بالرقمية والتفاعلية والتخصيص والجماهيرية وتزاوج الوسائط هذا من الجانب التقني، أما من الجانب الوظيفي فهي وسائل ناقلة لقيم وثقافة كما يقول ماكلوهان الوسيلة هي الرسالة، إن كل هذه الرسائل المحمولة عن طريق الإعلام الجديد تحمل في طياتها ثقافة وقيما قد تتوافق، أو تتناقض مع المستقبل لها لأنها وسائل تعرف القيود ولا الحدود...ويرجع ذلك لقوتها وبما تتميز به من جاذبية وتقنياتها المتجددة حسب الزمان والمكان.[3]

ويحيل الإعلام الجديد حسب الباحث التونسي (الصادق الحمامي) إلى ظاهرة متعددة الأبعاد، كما أن استخداماته الاصطلاحية تتسم بالتنوع الشديد ولعل المعنى الأكثر ارتباطا بالإعلام الجديد يتعلق ببعد الجدة والحداثة كمقابل لبعد القدم، وعلى هذا النحو يحيل مصطلح الإعلام الجديد إلى معنى الحركة من إعلام قديم إلى إعلام جديد ما يجعل مصطلح الإعلام الجديد يتصل بمعنى التجاوز والقطيعة بين إعلام الماضي، وإعلام المستقبل وفي بعض الأحيان إلى معنى النهاية (فناء الإعلام القديم) والولادة (الإعلام الجديد)، ويقوم الإعلام الجديد على الأشكال الآتية:

- الإعلام الجديد القائم على شبكات الإنترنت وتطبيقاتها.

- الإعلام الجديد القائم على الأجهزة المحمولة بما فيه ذلك أجهزة قراءة الكتب والصحف.
- الإعلام الجديد القائم على منصة الكمبيوتر ويتم تداول هذا النوع بوسائل إما شبكيا وبوسائل الحفظ المختلفة مثل الأسطوانات الضوئية.[4]

2- شبكات التواصل الاجتماعي:

يمكننا القول أن شبكات التواصل الاجتماعي ليست نمطا جديدا من الاتصال فحسب، بل هي تغير جذري في الاتصال بما تضفيه من أبعاد أخرى على الممارسة الاتصالية، ففي كل يوم هناك جديد في التكنولوجيا، المزيد من التطبيقات، والكثير من التحولات و اللاثبات في فضاء الرقمنة، فالشبكة الاجتماعية هي مجموعة من الكيانات الاجتماعية مثل الأفراد أو المنظمات الاجتماعية المرتبطة معا من خلال الروابط التي تم إنشاؤها خلال التفاعلات الاجتماعية، وهي نتاج لثورة الويب 2.0[5].

وحسب تعريف ويكيبيديا للشبكات الاجتماعية: أنها مجموعة من الهويات الاجتماعية المكونة من الأفراد أو حتى المؤسسات المرتبطة معا من خلال الروابط التي تم إنشاؤها خلال التفاعلات الاجتماعية، ويمثلها هيكل ديناميكي أو شكل من أشكال التجمع الاجتماعي ... الشبكة الاجتماعية تمثل بنية اجتماعية ديناميكية.[6]

3- لغة النت:

إن اللغة هوية، وليست "الهوية" لغة، بمعنى أن اللغة ليست المقوم الوحيد للهوية، وإن كانت من أهم هذه المقومات، وأشدها خصبا وعمقا وتركيبا. إن العلاقة بين اللغة والهوية هي علاقة الخاص بالعام، فالهوية أعم من اللغة؛ لأن الهوية لها تجليات عديدة غير "اللغة" إذ إنها (الهوية) ببساطة متناهية ليست سوى تلك القواسم المشتركة أو القدر المتفق عليه بين مجموعة من الناس، ذلك الذي يميزهم ويوحدهم، وليست اللغة وحدها التي تقوم بهذه المهمة، وهذا يعيدنا إلى المقومات الأخرى للهوية[7].

وتعتبر اللغة نظام من الرموز الصوتية التي تستعمل للاتصال الإنساني و هذا النظام يتصف بأنه العلاقة بين الرمز الصوتي و مدلوله علاقة متفق عليها يتصف، واللغة هي وعاء الفكر و رمز الحضارة الإنسانية التي تبنى عليها مفاهيم التخاطب بين البشر ووسيلة للتواصل السهل و عليه اهتم بها الإنسان وطور آلياتها لتصبح قادرة على احتواء كل جديد.

اللغة العربية من اللغات السامية ضاربة في جذور التاريخ الإنساني، وهي لغة القرآن الذي شرفها الله سبحانه و تعالى بنزول كلامه المقدس و قال عنها عز و جل "إنا أنزلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون " تتركب من ألفاظ و أصوات في صورة تراكيب تتكون من كلمات وعبارات تعبر عن حاجيا الأفراد وأداة للتواصل الفكري ، وهذا ما يصطلح عليه علماء اللغة بالنظام اللغوي الذي يشمل اللغة المنطوقة والمكتوبة[8].

ماسبق آنفا هو تمهيد بين معنى وبناء ومقام اللغة العربية التاريخي والهوياتي وكذلك الإنساني في مقابل الأخطار التي تخللت اللغة العربية، وتحدق بمكانتها واستخدامها لدى شبابها المنتمين لها والمتحدثين بها ضمن الفضاء الواقع والافتراضي، والذين باتوا مصدر تهديد يعصف بالبنى اللغوية العربية ومكوناتها لدرجة أن الفضاء الرقمي ولا سيما الشبكي أنتج لغة هجينة أطلق عليها "لغة النت" أو العربيزي بمعنى إلحاق العربية بإنجليزية، ودمج الكلمتين معا، فالعربيزي هي مزيج من الكلمات العربية والإنجليزية.

وقد انتشرت كثيرا في رسائل الهواتف المحمولة القصيرة والمنتديات وغرف الدردشة، وقد كتبت كلماتها العربية بحروف إنجليزية أو فرنسية ولكن وفق قواعد الكتابة العربية التي تخفف حروف اللين، فكلمة محمد التي تكتب في الإنجليزيةMohammedأصبحت في العربيزي تكتبMhmd، وكلمة كيفكم تكتب Kifkm، إضافة إلى استكمال الحروف التي لا توجد في اللاتينية بأرقام تشابه رسم الحروف العربية أو تقترب منها.[9] ويمكن تلخيص الدوافع التي تدفع بالشباب والشابات إلى استخدام لغة النت أو العربيزي في البنود الآتية[10]:

1. محاكاة الغرب:لما كان أكثر الشباب والشابات لا يتقنون اللغة الإنجليزية عملوا على استعارة الحروف منها للتعبير عن جمل عربية بقصد التباهي والظهور بمظهر المتحضر.
2. اكتشاف الذات:ويتمثل ذلك في البحث عن كيفية كون رد فعل الآخرين وخاصة الإناث في عيون الناس.

3. إثبات الذات:ومن البديهي أن سن الشباب هو سن إثبات الذات والبحث عن الاستقلال والتفرد ببعض الخصائص المختلفة عن باقي الفئات العمرية.
4. أسلوب تعبير لدى الشباب عن عدم الرضاِ عن الواقع، وتمرد سلبي لديهم، والتعبير بطريقة لا تمس قيم المجتمع وتقاليده مسا صريحا، ولا وجود لمتنفس الشباب وهمومهم وأسرارهم سوى مواقع التواصل الاجتماعي، فابتكروا هذه اللغة على أنها شفرة لا يفهمها سواهم.
5. سيرورة ثقافة الاستهلاك التي جاءت بها وسائل التواصل الحديثة، مما أدى إلى نمو هذه اللغة وتطورها بما تحمله من سمات الاختصار والسرعة والسهولة، فلم يعد هنالك وقت لكتابة جمل طويلة ومعقدة للرد عليها بجمل أطول.
6. خصوصية مرحلة الشباب فهي مرحلة الإقدام والمغامرة وحب كل ما هو جديد.

7. التخفيف من الشعور بالاغتراب:فالشباب يشعرون بالغربة في أوطانهم نتيجة حالة التهميش والبطالة.

8. الفوضى الفكرية لدى الشباب؛ فاللغة الجديدة تعكس فوضى كبيرة في الفكر، فهي محاولة لإيجاد بديل عن شيء مفقود ومن هنا فإن الشباب يرجعون تفضيلهم للغة (العربيزي) إلى سهولتها في الفهم والاستيعاب.

4- الهوية:

الهوية ليست معطى ذاتي وإنما هي معطى إنساني واجتماعي ونفسي وثقافي ينفتح على الفرد والجماعة ويشكل نسيج إنساني خالص تتداوله الجماعة وتساهم فيه جميع الخصائص من تاريخ ولغة ودين وثقافة وقومية وتعني "ذلك المركب المتجانس من الذكريات، والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات التي تحتفظ لجماعة بشرية تشكل أمة، أو ما في معناها بهويتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطورات، بفعل ديناميكيتها الداخلية وقابليتها للتداول والأخذ والعطاء"[11].

ويمكن للفرد على مدار حياته الانتماء إلى عدة هويات اجتماعية انطلاقا من تغير قناعاته، وظروفه...فالفرد لا يكون هو دائما في كل الحالات والمواقف...ومن بين أبرز التعريفات أيضا نجد المفهوم الذي قدمه تاجفل الذي يرى" أن الهوية هي التي تعكس ذلك الجزء من مفهوم الشخص عن ذاته، والذي يتأسس في ضوء معرفته المسبقة بانتمائه لعضوية جماعة إلى جماعات معينة وهو ما يقتضي تمسكه بالقيم والأعراف السائدة في إطارها[12]، ويحيلنا هذا لتجديد تساؤلنا اليوم أكثر من أي وقت مضى لماذا يتساءل الجميع بإلحاح عن موضوع الهوية في الوقت الراهن بمعطياته المختلفة؟ ويمكننا التعليق هنا أن السياق الاتصالي الجديد بمعطياتها التكنولوجية المتسارعة وعوالمها الافتراضية المبهرة –خاصة للشباب- وما حملته من تغيرات في المنحى السوسيولوجي والبنى الاجتماعية جعل قضايا الهوية من أبرز الموضوعات المتداولة، "ذلك أن الذات الخاصة للمجتمع باتت تسلبه من ذاته و تتحول إلى

ذات كونية، تحول و بالتالي يخسر المجتمع مواطنيه الحقيقيون لصالح مجتمع أكثر اتساعا ورحابة.

لذا نسال أين الهوية الوطنية في ظل تشكل المواطن الافتراضي وسيادة القيم الفردية؟. ضمن الإطار الكوني الإنساني ، نلحظ ولادة الهوية الكونية في مجتمع الإنترنت أو ما يعرف بـ"الهوية الرقمية Digital Identity ""هذه الهوية التي يشوبها الكثير من الغموض و التعقيد، ذلك أنها هوية لا تحدها أية حدود جغرافية، بل هي سابحة في الفضاء السيبراني تتفاعل مع المواطنين الكونيين الآخرين انطلاقا من خلفيات متعددة نحددها في ما يلي:

- الإطار الذاتي للشخصية أي (هويته الوطنية المحلية).
- الإطار الافتراضي للشخصية أي (هويته الافتراضية العالمية)

الإطار الثقافي الطبيعي الذي ينطلق منه المواطن الافتراضي نحو الإطار الكوني الأوسع.[13]

المحور الثاني: الهوية ورهان الحفاظ على الهوية الذاتية في العوالم الافتراضية

أنتجت التكنولوجيا الاتصالية الحديثة مجتمعات افتراضية أتاحت إمكانية تعويض الهوية الحقيقية بهويات متعدد، ذلك أن المجتمع لم يعد محكوما بسياق ومني أو مكاني –كما في السابق- لأن العالم الافتراضي أزال الحدود بين العالم الافتراضي والعالم الواقعي، مما أثار إشكالا عن الدور الذي تؤديه شبكات ومواقع التواصل الاجتماعي وعلى رأسها الفيسبوك في

بناء الهوية الذاتية للأفراد، لا سيما الشباب وكيف تمت أو تتم عملية إعادة تشكيلها؟ وما هي أكبر التحديات التي تواجه الهوية الرقمية للشباب؟

فالفضاء الافتراضي بما أنه مجال واسع يتيح مساحات لا محدودة من التواصل، وقائمة لا متناهية من الأصدقاء وأصدقاء الأصدقاء والمتابعين، وشبكة من المعارف والآراء، أصبح شيئا فشيئا فضاء مقيدا بإملاءات لا تختلف كثيرا عن إملاءات المجال العام الواقعي، وقواعده أو لوائحه السياسية والدينية والأخلاقية، وكذلك المعيارية والإنسانية على اختلافها وتنوعها وبالتالي فإن الذات الإنسانية قد هربت من إملاءات الواقع الحقيقي إلى إملاءات الواقع الافتراضي.[14]

فالفضاءات الرقمية تمنح الشباب هوية جديدة لاستكشاف هوياتهم، وقد وصفت شيري تركل sherry turkle الإنترنت بأنها فضاء خصب للشباب يمكنهم من توسيع الدائرة الزمنية لذلك التوقف المؤقت –فترة المراهقة- فبتحررهم من الإكراهات المادية، والاقتصادية والاجتماعية، أصبح بإمكانهم تجريب أو تقمص هويات متعددة في محيط تقل فيه المخاطر والرهانات الأخلاقية كما يعتقدون...فالأفراد في الفضاءات الرقمية يُقبلون على تبني أسماء وأساليب تعبيرية، وشخصيات مختلفة للتعبير عن ذواتهم الرقمية.[15]

ومن مظاهر الخطر والتناقض التي تثير حالة الضياع الهوياتي والثقافي بأبعاد المتعدد، التي تعد اللغة أحد أهم ركائزها فقد أكدت "إحدى الدراسات التي أجريت على فئة من الشباب الجزائري أن أغلب المبحوثين يستخدمون

مزيجا من اللغة العربية والأجنبية بنسبة 42%، وتلت هذه النسبة الذين يستخدمون اللغة العربية وتمثلت في 22% وهي نسبة ضئيلة مجحفة في حق لغتنا الأم، أما 16% من المبحوثين يستخدمون اللغة العربية بحروف أجنبية وهذا مما لا شك فيه يشكل خطرا وتحديا لمستقبل اللغة العربية في هذه الشبكات، ومثلت 12% نسبة الذين يستخدمون اللغات الأجنبية، أما نسبة 8% فقد ذكروا أنهم يستخدمون لغة خاصة يفهمها المشاركون في هذه المواقع وهي عبارة عن رموز واختصارات لبعض الكلمات. بالإضافة لتعريب بعض الكلمات اللاتينية مثل: (نكونكتي، نشاتي...) وغيرها ومما لا شك فيه أن هذه اللغة المستخدمة في عالم مواقع التواصل الاجتماعي تعبر على انسلاخ شبابنا من لغته العربية الصحيحة نطقا وكتابة.[16]

المحور الثالث: تأثير الوسائط الرقمية على الهوية اللغوية للشباب

يوجد اعتقاد واسع في تراجع المهارات اللغوية للشباب كما تتجلى في ما يطلق عليه العض "لغة النت" والتي تحيل إلى استخدام الاختصار، والأرقام في ما يتعلق باللغة العربية، وعدم احترام قواعد الإملاء في التبادلات التي تتخذ من الحاسوب وسيلة أساسية، وقد دفعت هذه الممارسات غلى عودة الخطابات القديمة للكبار حول الخوف من تراجع الكفايات اللغوية للشباب وسيادة السجل اللغوي العامي، واعتبار ذلك دليلا على التردي اللغوي.

فالوسائط الإعلامية عموما غالبا ما تميل إلى تصوير الاتصال القائم على توظيف الحاسوب (البريد الإلكتروني، الدردشة، التواصل الآني، والرسائل النصية القصيرة) بصورة سلبية، ووسم الشباب أيضا بعدم الكفاءة الاتصالية، فالكثير من هذه الوسائط ترى أن لغة غرف الدردشة مثلا تهدد مصير اللغة العربية من خلال مزجها مع لغات أجنبية، واستبدال أحرفها بالأرقام بل هناك من أفتى بتحريمها.

وقد أطلق البعض الآخر على الدردشة بالإنترنت " لغة مشاغبة"، "هجينة ومستنكرة" معتبرا أنها لغة مشوهة تكتب فيها اللغة العربية بالأحرف اللاتينية، فهي عربية لفظا ولاتينية كتابة وهي لغة تعتمد على استخدام الأرقام بدلا من الأحرف، ولا يختلف الأمر في السياقات الثقافية الأخرى، حيث تجد الخوف من فساد الذوق اللغوي، إذ اعتبرت فانكوفر صان الكندية أن اللغة الإلكترونية قد تحولت إلى لغة مختصرة ومختزلة تفسد اللغة الإنجليزية للملكة فأولادنا يلجؤون إلى الإنترنت ويصيبهم فيروس الويب، إن هذا المرض الإتصالي ينتشر بقوة بين جيل الإنترنت[17]

ويرجع العدد المتزايد يوما عن يوم لرواد المجتمعات الافتراضية إلى الحرية المطلقة في التعبير عن الذات، والأفكار وتبادل الآراء، وإشباع الرغبات و الاهتمامات، وكذا مجانية خدمتها وتوفرها في كل مكان وزمان، ومن خصائصها أيضا[18]:

- المرونة وانهيار فكرة الجماعة المرجعية بمعناها التقليدي فالمجتمع الافتراضي لا تحده أبعاد تاريخية ولا جغرافية بل يخضع لمبدأ الاهتمامات المشتركة التي تجمع أفرادا لا يعرفون بعضهم البعض.
- مجتمعات ديناميكية لا تعرف التوقف على مدار الساعة.
- تقوم على مبدأ الاختيار بدل الإلزام.
- اللامركزية والتفكيك التدريجي لمفهوم الهوية التقليدي خاصة وأن أغلب روادها يستخدمون أسماء مستعارة وصورا ليست بصورهم بل هناك من يمتلك أكثر من حساب.
- تقوم على معادلة زمنية تضم الزمن اللحظي وسرعة الطواف في الوقت ذاته، أي الزمن العالمي الخارق لكل الحدود والضوابط المكانية والزمنية، حيث تنتقل فيه الرسائل والصور بسرعة قصوى من أي بقعة في العالم.

1- على مستوى الحرف العربي: فالحرف العربي الذي ظل صامدا على مدى عصور طويلة من الزمن. مع ما رافقه من تيارات استعمارية ضاغطة سعت لطمس الهوية اللسانية للأمة، نجده اليوم محاصرا على طاولات البحث الالكتروني، ومستباحا من قبل مستخدمي وسائط التواصل الاجتماعي دون أدنى مسؤولية في خلق الإشكالات اللغوية مثل استبدال الحروف بأرقام، أو مزاوجة الحروف العربية بالحروف اللاتينية لتنتج لغة منصهرة ومن أمثلة ذلك نجد: رقم 2= همزة مثل كتابة كلمة

so2al ورقم 3= حرف ع، ورقم 4 = ش أما رقم 5 = خ ورقم 6= ط ورقم 7= ح أما عن الأبجدية العربية في مقابل الحرف اللاتيني نجد:

أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر
A	B	T	TH	J	7/H	5/KH	D	D′	R

2- تهجين اللغة العربية مع لغات أخرى: طهرت مصطلحات جديدة طفت على سطح التهافا الكبير على مواقع التواصل الاجتماعي، والمنتديات ومواقع الدردشة على شبكة الانترنت ورسائل sms في الهواتف المحمولة وقد أطلق عليها عدد من السميات "الفرانكوآراب"، "العربيزي"، "الآرابيش"، دمجا بين كلمتي "english and arabic" أو اللغة الفيسبوكية.[19]

3- الاختصارات اللغوية: لقد شهدت اللغة العربية العديد من الاختصارات سواء كانت الكتابة بالحروف العربية، أو الحروف اللاتينية التي على محو معالم اللغة العربية، ويقصد بالاختصار استعمال بعض الحروف والأرقام في الكتابة على نحو يقارب مفهوم النحت في اللغة مثل:

ISA	إن شاء الله
MSA	ماشاء الله
HML	الحمد لله
SLT	مرحبا
LOL	Loughig Out Loud ومعناها أضحك بصوت عال

4- توظيف مختلف الصور والرموز: وتتمثل في مختلف الصور والرسومات التعبيرية التي بدأت تشيع لغة الكتابات الرقمية، ويدل الكثير منها على أنماط التعبيرات عن الحالات الوجدانية والمشاعر والأحاسيس عوضا عن استخدام الكلمة، وقد دفعت هذه الظاهرة مجلة نيوزويك إلى إجراء بحث عن انتشارها في مقابل انتشار اللغة الانجليزية، فكانت النتيجة مهولة حسب وصف المجلة، وذهب البعص إلى إقرار أن الإيموجي (الوجوه الصفراء) سيكون لغة المستقبل دون شك.

5- الأخطاء النحوية والإملائية: لعل من أبرز الآثار السلبية التي مست استخدام اللغة العربية في مواقع التواصل الاجتماعي نجد الأخطاء الإملائية والنحوية، مما زاد في مظاهر العنف العام في استخدام اللغة العربية والتي يمكن رصدها في جوانب عدة كما يلي:

- الجهل بقواعد الإملاء والنحو العربي جهلا عمت به البلوى حتى أصبح ملازما للكتابة.
- كثرة الأخطاء اللغوية الشائعة المخالفة للمسموع من اللغة وأصولها الثابتة.
- عدم السلامة في الأسلوب وتركيب أجمل تركيبيا يتم على التكلف وغلبة الركاكة.
- إهمال علامات الترقيم من فاصلة وقاطعة وشارحة وغيرها.
- الإكثار من استعمال الكلمات الأجنبية بلا داع مع سهولة المقابل العربي لها.
- القضاء تقريبا على النطق الصحيح للذات والتاء والظاء.[20]

المحور الرابع: العوامل التي أسهمت في التغيرات التي أصابت استعمال اللغة العربية

مما لا شك فيه أن هناك العديد من العوامل مجتمعة أسهمت في إحداث تغييرات سلبية في قواعد وأداء اللغة العربية، ونمط استخدامها نوردها في النقاط التالية:

- ضعف الوعي اللغوي لدى الشباب فأكثرهم لا يشعر بالاعتزاز بلغته وأهمية الحفاظ عليها ومسؤولية هذا الضعف مشتركة بين الشباب أنفسهم والمؤسسات التعليمية.

- ضعف العلم باللغة العربية لدى الشباب وضعف القدرة على النطق السليم بها تحدثا وقراءة، إلى جانب ضعف الكتابة وهذا السبب يعزى إلى ضعف تكوينهم اللغوي في أثناء المراحل الدراسية المختلفة.
- تقصير أساتذة العربية ومتخصصيها في علاج مظاهر الضعف فيها فأكثرهم لا يزيد على إلقاء دروسه أو محاضراته على طلابه، وغالبها طريقة عقيمة في تدريس العربية لا تزيد على إلقاء قواعد، أو نظرة جامدة والاكتفاء بالطرح النظري دون تطبيق هذه القواعد.
- حاجة الشباب للسرعة في التواصل بينهم والاختصار في كتابة الألفاظ والتراكيب، وهو ما يدعوهم إلى التخفف من كثير من ضوابط الكتابة العربية أو ترك الكتابة العربية إلى استعمال رموز أجنبية للكتابة.
- الشعور بالانهزامية والانكسار أمام سيل اللغات الأخرى المتطورة، كالإنجليزية وهو ما يدفع الشباب إلى التزيين باستعمال الألفاظ الأجنبية في كلامهم أو إدخالها في كتاباتهم أو استعمال الحروف الأجنبية في كتابة الكلمات العربية للتعبير عن إعجابهم بها، أو مسايرتهم غيرهم في استعمالها.[21]

الخاتمة:

نستخلص مما سبق أن أهم رهان يواجهه شبابنا ومجتمعنا في ظل هيمنة واكتساح مواقع التواصل الاجتماعي، هو الحفاظ على هويته الذاتية

والثقافية، أو إعادة بنائها بصيغة تنحو للثبات مع تعالي اكتساح العالم الافتراضي للعالم الواقعي من جهة، وانهزامية شبابنا من جهة أخرى.

وأول سبيل للتخلي هو زعزعة اللغة العربية بمكوناتها وقواعدها، وحياكة لغة هجينة تتنكر للمبدأ الأصيل وتتهاوى لصالح الانتماء لهذا العالم الافتراضي وإرضاء قيمه الإيديولوجية الموجهة، والتكريس لمضامين لغوية تواصلية بديلة تختلف شكلا ومضمونا عن ما كانت موجودة ومتداولة في وسائل الإعلام التقليدي، وامتاز هذا المضمون بلغة تفتقر الكثير من المقومات اللغوية، المعمول بها وتقزيمها في لغة مختزلة ومختصرة تشبع الحضور الفرداني للشباب ضمن هذا الفضاء.

- **قائمة المصادر والمراجع:**

1. إبراهيم يحياوي. الإعلام الجديد وتشكيل ثقافة الشباب. مقال منشور بمجلة العلوم الاجتماعية. العدد 25. جامعة سطيف. الجزائر. ديسمبر 2017.
2. باديس لونيس. الهوية المحلية والافتراضية (حدود التلاقي والتلاغي). مقال منشور بمجلة دراسات وأبحاث. المجلد 07. العدد 19. جامعة زيان عاشور الجلفة. الجزائر. 2015/06/15 .
3. بن زياد إيمان. سي موسى عبد الله. تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية دراسة في الاستعمالات والاشباعات. مجلة دراسات. المجلد 07. العدد 02.
4. بوهلة شهيرة. واقع استخدام اللغة العربية في الخطاب الرقمي. مقال منشور بمجلة اشكالات في اللغة والأدب. مجلد 09. العدد 05. المركز الجامعي تامنغست. الجزائر 2020.

5. خليل سعيدي، هشام بوساحية. السياق الاتصالي الجديد بين الذات الإلكترونية والهوية الافتراضية قراءة في الأبعاد والمفاهيم. مجلة ببليوفيليا للدراسات المكتبات والمعلومات. المجلد 03. العدد 10. جويلية 2021. جامعة العربي التبسي. تبسة الجزائر. 2021. 176.
6. سارة شيخي. أزمة الهوية لدى المراهق بين الافتراضية والواقع. مقال منشور بمجلة حقوق معرفية للعلوم الاجتماعية والانسانية. المجلد 02. العدد 03. جامعة زيان عاشور الجلفة. الجزائر. 2021/10/15.
7. سامية بادي ، سوهام باد. تأثير لغة التواصل الإلكتروني على مستقبل الحرف العربي. المؤتمر الرابع للمجلس الدولي للغة العربية. المجلد السادس. دبي2015.
8. سلمى حميدان. تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية للشباب الجزائري. مقال منشور بمجلة المعيار الصادرة عن جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. مجلد 24. عدد 49. قسنطينة. الجزائر. 2020.
9. الشباب والاتصال والميديا. معهد الصحافة وعلوم الأخبار. مؤسسة كونر أديناور. ملتقى دولي. تونس. 2010.
10. الصادق رابح. ترشيد الممارسات الأخلاقية للشباب في الفضاءات الرقمية. مجلة دراسات إعلامية. مركز الجزيرة للدراسات. 25 نوفمبر 2020.
11. الصادق رابح. فضاءات رقمية (قراءة في المفاهيم والمقاربات والرهانات). ط1. درا النهضة العربية. بيروت لبنان. 2014.
12. عبد العزيز بن حميد الحميد. الشباب واللغة مشكلة اللغة الهجين. مقال منشور في كتاب لغة الشباب العربي في وسائل التواصل الحديثة. مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي. ط1. المملكة العربية السعودية. أكتوبر 2014.
13. عماري فرحات. الهوية " مقاربات مفاهيمية". مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع. العدد 02. الجزائر. جوان 2017.

14. فريدة عباس صغير. تمثلات حضور هيئة المجلس الأعلى للغة العربية عبر شبكات التواصل الاجتماعي و دورها في ترقية اللغة العربية.مجلة البدر. المجلد 10. العدد 06. جامعة بشار. الجزائر. 2018.

15. محمود السيد. العربيزي ظاهرة خطيرة على لغتنا العربية. مجمع اللغة. دمشق.

- **المراجع الأجنبية:**

1.OUALIDI, (HABIB) : LES OUTILS DE LA COMMUNICATION DIGITALE- 10 CLES POUR MAITRISER LE WEB MARKETING, EDITION, EYROLLES, PARIS, 2013.

- **المواقع الالكترونية:**

1. فاطمة موسى عبد العباس. اللغة العربية وإشكاليات الهوية. مداخلة بالملتقى الدولي للغة العربية وآدابها وتعليمها
file:///C:/Users/UTILIS~1/AppData/Local/Temp/939-1816-1-SM.p
2. ثريا السنوسي. مواقع التواصل الاجتماعي وواقع البناء الذاتي للهوية
Diraset.com/node/128
3. HTTP://FR.WIKIPEDIA.ORG/WIKI/R%C3%A9SEAU_SOCIAL

الهوامش:

[1]. الشباب والاتصال والميديا. معهد الصحافة وعلوم الأخبار. مؤسسة كونر أديناور. ملتقى دولي. تونس. 2010. ص 7.

[2]. بن زياد إيمان. سي موسى عبد الله. **تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية دراسة في الاستعمالات والاشباعات**. مجلة دراسات. المجلد 07. العدد 02 ص 272.

[3]. إبراهيم يحياوي. **الاعلام الجديد وتشكيل ثقافة الشباب**. مقال منشور بمجلة العلوم الاجتماعية. العدد 25. جامعة سطيف. الجزائر. ديسمبر 2017. ص 91.

[4]. باديس لونيس. **الهوية المحلية والافتراضية (حدود التلاقي والتلاغي)**. مقال منشور بمجلة دراسات وأبحاث. المجلد 07. العدد 19. جامعة زيان عاشور الجلفة. الجزائر. 2015/06/15. ص 32.

[5]. OUALIDI, (HABIB) : LES OUTILS DE LA COMMUNICATION DIGITALE- 10 CLES POUR MAITRISER LE WEB MARKETING, EDITION, EYROLLES, PARIS, 2013. P38.

[6]. HTTP://FR.WIKIPEDIA.ORG/WIKI/R%C3%A9SEAU_SOCIAL

[7]. فاطمة موسى عبد العباس. اللغة العربية وإشكاليات الهوية. مداخلة بالملتقى الدولي للغة العربية وآدابها وتعليمها
file:///C:/Users/UTILIS~1/AppData/Local/Temp/939-1816-1-SM.pdf

[8]. فريدة عباس صغير. **تمثلات حضور هيئة المجلس الاعلى للغة العربية عبر شبكات التواصل الاجتماعي و دورها في ترقية اللغة العربية**.مجلة البدر. المجلد 10. العدد 06. جامعة بشار. الجزائر. 2018.ص 656.

[9]. محمود السيد. **العربزي ظاهرة خطيرة على لغتنا العربية**. مجمع اللغة. دمشق. ص 16.
http://mohamedrabeea.net/library/pdf/d2401c74-0181-4d53-911e-8397bace487b.pdf

[10]. سامية بادي ، سوهام باد. **تأثير لغة التواصل الالكتروني على مستقبل الحرف العربي**. المؤتمر الرابع للمجلس الدولي للغة العربية. المجلد السادس. دبي2015. ص 89.

[11]. عماري فرحات. **الهوية " مقاربات مفاهيمية". مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع**. العدد 02. الجزائر. جوان 2017 ص 76.

[12]. باديس لونيس. مرجع سبق ذكره ص 34.

[13]. خليل سعيدي، هشام بوساحية. **السياق الاتصالي الجديد بين الذات الالكترونية والهوية الافتراضية قراءة في الأبعاد والمفاهيم**. مجلة ببليوفيليا للدراسات المكتبات والمعلومات. المجلد 03. العدد 10. جويلية 2021. جامعة العربي التبسي. تبسة الجزائر. 2021. ص 176.

[14].. ثريا السنوسي. مواقع التواصل الاجتماعي وواقع البناء الذاتي للهوية Diraset.com/node/128.

[15]. الصادق رابح. **ترشيد الممارسات الأخلاقية للشباب في الفضاءات الرقمية**. مجلة دراسات إعلامية. مركز الجزيرة للدراسات. 25 نوفمبر 2020. ص 06.

[16]. سلمى حميدان. **تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية للشباب الجزائري**. مقال منشور بمجلة المعيار الصادرة عن جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. مجلد 24. عدد 49. قسنطينة. الجزائر. 2020. ص 535.

[17]. الصادق رابح. **فضاءات رقمية (قراءة في المفاهيم والمقاربات والرهانات)**. ط1. درا النهضة العربية. بيروت لبنان. 2014. ص 98-99.

[18]. سارة شيخي. **أزمة الهوية لدى المراهق بين الافتراضية والواقع**. مقال منشور بمجلة حقوق معرفية للعلوم الاجتماعية والانسانية. المجلد 02. العدد 03. جامعة زيان عاشور الجلفة. الجزائر. 2021/10/15. ص 41-42.

[19]. بوهلة شهيرة. **واقع استخدام اللغة العربية في الخطاب الرقمي. مقال منشور بمجلة اشكالات في اللغة والأدب**. مجلد 09. العدد 05. المركز الجامعي تامنغست. الجزائر 2020. ص 613.

[20]. المرجع نفسه ص 614-615.

[21]. عبد العزيز بن حميد الحميد. الشباب واللغة مشكلة اللغة الهجين. مقال منشور في كتاب لغة الشباب العربي في وسائل التواصل الحديثة. مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي. ط1. المملكة العربية السعودية. أكتوبر 2014. ص 34-35.

ISSN : 2992-0566 Eissn :

الاستعارات التصوريّة الأوليّة
The initial conceptuel metaphor

د. لطفي الشيباني Chibani lotfi
أستاذ أول مميّز
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعيّة- تونس
Facule des sciences humaines et sociologie- Tunis
Nacerlotfi1977@gmail.com

ملخص:

نبحث في هذا المقال مفهوم"الاستعارة الأوليّة" أو الاستعارة الذريّة"، وهو مفهوم ظهر في علم الدلالة العرفانيّ في كتابي لايكوف وجونسون "الاستعارات التي نحيا بها"، و"الفلسفة في الجسد"، ضمن تصور للاستعارة قام على دحض التصورات البلاغية التقليدية، وجعل آلية مركزية تخص الفكر والخيال والجسد، ووسيلة أساسيّة في عملية المفهمة، فاعتبر الاستعارة ظاهرة تصوريّة تجري في الكلام اليوميّ بصورة لا نتفطن إليها، ويستخدمها البشر باختلاف أعمارهم وبيئاتهم، وثقافاتهم، وتفكيرهم في فهم ذواتهم وإعطاء تجاربهم معنى، وهذا المعنى يكون بنى استنتاجيّة أوليّة لا تستوجب تأويلا، فهي بنى بسيطة ساذجة، ولاواعيّة تنتج عن أوائل استعاريّة أو استعارات أوليّة.

الكلمات المفتاحيّة: استعارة تصوريّة، استعارة أوليّة، نسخ، ميدان هدف، ميدان مصدر،ميدان تصوريّ، استعارات معقدة، اقتضاءات استعاريّة.

ISSN : 2992-0566 Eissn :

Abstract ;

In this article, we discuss the concept of "primary metaphor" or atomic metaphor, which is a type of conceptual metaphor from the perspective of cognitive semantics perception that emerged in Lakoff and Johnson's books "Metaphors We Live By" and "Philosophy in the flesh". It is a perception based on the refutation of traditional rhetorical perceptions. The cognivism perspective is based on the consideration of metaphor as a central mechanism linked to thought, to fantasy, to , and as a means of understanding.It's conceptual phenomenon unfolds in everyday speech in ways we don't notice.It is used by people of different ages, backgrounds, cultures and thoughts to understand and make sense of their life experiences, and that sense is complex deductive structures and is generated from a collection of metaphors, and it can be simple, naive, and inattentive, L Unconsciousness results from primary metaphors.

Keyword ; Métaphore conceptuel metaphor, initial metaphor, mapping, Targetdomain,source Domain , conceptuelDomain,complexmetaphor, the présupposionmétaphoric.

المقدمة:

من الفرضيات الأساسيّة التي يدافع عنها العرفانيون أنّ الآلية المعروفة في بناء فهمنا لتجربة ذاتية من خلال تجربة حسية حركية هي الاستعارة التصوريّة التي تعم الذهن واللغة، وتمثل جزءا مهما من نسقنا التصوريّ، وتؤثر في الطريقة التي نمارس بها تفكيرنا. وهذا الفهم يمكن أن يكون بدائيّا بسيطا تفصح عنه استعارات أوليّة، ويمكن أن ينهض به كشكول من الاستعارات المعقدة. ونقتصر في مقالنا على النظر في الاستعارات الأولية من حيث المفهوم، ومن حيث آليات تكوّنها، ودورها في التفكير والفهم.

ويستوجب تحقيق ذلك أن نعرض بإيجاز لمفهوم الاستعارة التصوريّة، ونتبين آلياته، وننظر في أنواعه، ونتحرى مقاييس التصنيف.

1- الاستعارة فهم ميدان تصوريّ بواسطة ميدان تصوريّ آخر:

تأسس علم الدلالة العرفانيّ على مركزية الاستعارة في نظام الفهم والإدراك، فهي ليست ظاهرة تخص الألفاظ، وتقوم على المشابهة، وتكون حكرا على النصوص الأدبية والجماليّة ويختص بها الشعراء والأدباء دون غيرهم، وإنما هي ظاهرة عرفانية كامنة في نسقنا التصوريّ، ساكنة في خطابنا اليومي، منتشرة في تجاربنا الحياتيّة وسلوكاتنا اليومية، إنها ما به نفهم، وندرك، ونعيش، ونفكر، ونحب.

بناء على ذلك تتيح الاستعارة التصوّرية للاستنتاجات القائمة في المجالات الحسيّة الحركيّة (مجالي الفضاء والأشياء) أن تستخدم في رسم استنتاجات تخص مجالات أخرى (مجالات الأحكام الذاتيّة، تصورات الحميمية والألفة والعواطف والعدل...). ولأنّنا نمارس تفكيرنا بواسطة الاستعارة، فإنّنا نستخدمها لنعيّن الكيفيّة التي نعيش بها. ومن هنا تكون الاستعارات التصوّريّة حتميّة في وجودنا، فليست نسقا اعتباطيّا وإنّما هي نسق يتشكل من طبيعة أجسادنا وتموقعها، واشتغالها اليوميّ في العالم، من طرق نسلكها، وسلوكات نأتيها وأنشطة ننجزها.

ولا يعدو سحب استنتاجات دلالية من التجربة الحسيّة الحركيّة لوسم تجربة ذاتيّة أن يكون فهم ميدان تصوري هدف بواسطة ميدان تصوريّ مصدر، فنفهم الحب عن طريق إسقاط خاصيات الرحلة فالحب رحلة لها بداية ونهاية ومسار يسلكه المحب وعوائق تعرض له واستراحات يركن إليها. فالاستعارة ظاهرة ذهنية ساكنة في الفكر وليست ظاهرة لغوية كامنة في اللفظ ترتبط بالبشر منذ

الطفولة حتى الكهولة، تندس في كلامهم اليوميّ، بطريقة يصعب معها" الانتباه إلى أن هناك استعارة أصلا".

يحدث الفهم الاستعاري ب" إسقاط البنية الخطاطيّة في المجال المصدر على البنية الخطاطية في المجال الهدف، بوجه يضمن التناسب بين مكونات الخطاطتين واحد بواحد ويحافظ على التناسبات الثابتة بينهما. ويوجه الإسقاط شرط الحفاظ على البنية الخطاطية في المجال الهدف وذلك بعدم تغييرها أو تحويرها أو تبديلها فخطاطة المجال الهدف تمثل قيدا يحد من إمكانيات الإسقاط فلا يكون آليا عشوائيا فمبدأ الثبات بشرط الحفاظ على خطاطة المجال الهدف تقييد لعملية الإسقاط. فالغلبة في الإسقاط تكون للمجال الهدف"[1]. فمفهوم الإسقاط مفهوم مركزيّ في نشوء الاستعارة وآلية أساسيّة في البنية الاستعارية، وهذا النشوء يمكن أن يكون معقدا فيولد الاستعارات المعقدة، ويمكن أن يكون بسيطا أوليّا فينتج الاستعارة الأوليّة باعتباره ذرات أوليّة في التفكير والفهم.

2- الاستعارات الأوليّة آلية تفكير:

في إجابة عن سؤال "هل يمكننا أن نفكر بدون استعارة؟" يعرض لايكوف وجونسون للاستعارات الأوليّة التي يكون لها أساس مباشر في تجربتنا اليومية حيث يحدث تعالق بين تجربتنا الحسية الحركية وأحكامنا الذاتية، فتجاربنا المجسدنة وثقافتنا هما أساسا هذه الاستعارات الأوليّة، إذ"توجد مئات من الاستعارات الأولية، وتقدم لنا هذه الاستعارات مجتمعة تجربة ذاتية ذات بنية استنتاجية

بالغة المعنى"[2]، فالاستعارة الأولية الحنان دفء ليس إلا نسخا للتجربة المادية للدفء الناتج عن الاتصال الجسدي المباشر.

وقد برزت نظرية الاستعارات الأولية نتيجة تراكم لتجارب متنوعة من ميادين مختلفة سعت إلى الإجابة عن سؤالي؛ كيف نفهم؟ كيف نفكر؟ فهي نظرية تتأسس على روافد مختلفة في وسائلها، متباينة في اقتضاءاتها.

3- روافد الاستعارات الأولية:

الاستعارة الأوليّة نظرية أسهمت فيها بحوث متنوعة المصادر مختلفة المناهج ومتباينة المواضيع:

- النظرية العصبية للاستعارة عند نارانيان القائمة على التعالقات العصبية، وهي نظرية ترصد كيفية تعلم الاستعارات الأولية.
- نظرية المزج التصوريّ بين الأفضية الذهنيّة لفوكونييه وتورنر.
- نظرية آلية الدمج عند جونسون، وهي آلية تنتج مئات من الاستعارات الأولية بإنشاء تعالق بين التجربة الذاتية والتجربة الحسية الحركية. ويكون حاصل ذلك الدمج استعارة أوليّة هي "مكون ذري في البنية الجزئية للاستعارات المركبة"[3]، ينشأ بصورة آلية لاواعية بواسطة تعالق عصبي أو دمج يتحقق بين ميدان تصوري مصدر وميدان تصوري هدف، بكيفية يصبح الدمج آليّة في تعلم الأوائل الاستعاريّة.

وقدم جونسون مثال الطفل "شيم" الذي مرّ قبل أن يستعمل استعارة"المعرفة رؤية" بمراحل تطوريّة في الفهم الاستعاريّ، ففي مرحلة كان فيها الميدان التصوري المصدر"رؤية"والميدان التصوري الهدف"معرفة" ميدانين مدمجين، استعمل فعل"عرف" بنفس المعنى السياقي للفعل"عرف" بكيفية يغيب

فيها التمايز بينهما، هذه الترابطات التي تظل قائمة هي نسوخ الاستعارة التصورية تظهر لاحقا في قوله:"أرى ما تعنيه" عبر الدمج الذي يتيح لنا تعلم استعارات أوليّة فيحصل التمييز، وهي مرحلة تبرز فيها الاستعارة التصورية.

إذا كان ذلك، تولدت الاستعارة التصوريّة في تصور جونسون عن مرحلتي؛ مرحلة الدمج أولا، حيث تحصل ترابطات بين ميدانين تصوريين وتظل التجربة الذاتية والتجربة الحسية الحركية تجربتين مندمجتين، ومرحلة ثانيّة ينشأ فيها تمايز بين الميدانين التصوريين" فيكون أحدهما مصدرا استعاريا والأخر هدفا"[4].

فقبل حدوث الإسقاط الاستعاريّ الذي يتطلب مقتضيات ثقافيّة وفيزيائيّة واعتقادية يقع الدمج، وإن كان الترتيب بين مرحلتي اكتساب ترتيبا زمانيا، فإنّ للاقتضاءات الاستعاريّة دورا في فهم ذلك الانتقال في حياة الطفل "شيم". وسننظر في هذه الفكرة بتحليل بعض الاستعارات الأوليّة تحليلا ينظر في النسخ الاستعاري بين ميادين التجربة، ويتقصّى اقتضاءاته الاستعاريّة.

وقد قدم غراندي لائحة من الاستعارات الأوليّة من قبيل "العاطفة دفء"، و"السعيد فوق"، و"الزمن حركة"، و"المعرفة رؤية" واستند في تحليل ذلك إلى معايير؛1) النسخ الاستعاري الأوليّ، 2) التمييز بين التجربة الحسية الحركية، والتجربة الذاتية، 3) تعيين الاستعارة الأولية. وننظر فيما يلي في هذه الاستعارات ونقدم لائحة في مقتضياتها الاستعاريّة، ونمثل لها بأمثلة من كلامنا اليوميّ.

4- نماذج من الاستعارات الأوليّة التي نحيا بها:

استعارة التصوريّة الأوليّة "العاطفة دفء"

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: العاطفة

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: الحرارة

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة:نقترب من مصدر الحرارة، فنحس بالدفء الذي يطرد الإحساس بالبرد فيزيائيا، والإحساس بالدفء عندما نعامل بعطف وحنو، ورقة، ولطف، وهو ما يقلص البرود العاطفيّ.

التعابير الاستعارية:

1- عانقني بقوة لكي أدفأ من فراقك.

2- تسرب من حضنه لهيب نار الشوق.

3- يشتعل نارا للقائي

4- قبلني بحرارة متقدة.

5- أشعل ما بي بداخلي من مشاعر.

6- حضنه دافئ.

7- انفجر بركانا من الحنان.

الاستعارة التصوريّة الأولية:"المهم كبير"

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: الأهمية

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: الحجم

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة: عندما تكون طفلا، ترى أنّ الأشياء الكبيرة، الآباء مثلا، المعلم مهمة وبإمكانها أن تمارس عليك قوة كبرى، وتهيمن على تجربتك البصريّة.

التعابير الاستعاريّة:

1- غدا يوم كبير.

2- عمل كبير.
3- إنه في موقع مهم.
4- شأنه أكبر من قدراتك.
5- عمود الأسرة.
6- كبير القبيلة.
7- زعيم المافيا.
8- ربة البيت.
9- انظر إنّه معلمي.

الاستعارة التصورية الأولية: "السعيد فوق"

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: السعادة

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: اتجاه جسدي

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة: الإحساس بالارتفاع والانتصاب الجسدي يسحب على الإحساس بالسعادة والحيوية والنشاط والطاقة باعتبارها أحاسيس تضع صاحبها في الأعلى.

التعابير الاستعارية:

1- إنّني في قمة السعادة.
2- لقد رفع معنوياتي.
3- معنوياتي مرتفعة.
4- أحسّ وكأنّني أطير.
5- أحلق عاليا.

6- إنّني في القمة

الاستعارة التصوريّة الأوليّة: "الحميمية قرب"

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: الحميمية

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: أن تكون قريبا فيزيائيّا

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة: عادة ما يتيح القرب الفيزيائيّ قوة فيزيائية كهربائيّة والقرب العاطفي يمنح حميمية وحنان وعطف.

التعابير الاستعاريّة:

1- ابتعدنا عن بعضنا بعد سنوات من القرب.
2- التصق بجسدي فأحسسنا بحنانه ودفئه.
3- اقترب فأنا أحس بالوحدة.
4- قربك نعيم الروح.
5- في عناقك وقربك أتداوى منك.
6- بعيد عني حياتي عذاب.
7- القرب منك يزيدني توهجا وإشراقا.
8- حمم من العاطفة في قربك.

الاستعارة التصورية الأوليّة: "الرديء نتن"

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: التقييم

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: الرائحة

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة: الأشياء الرديئة ذات رائحة نتنة، مزعجة، تثير تقززك، فتبتعد.

1- كلامك رائحته كريهة.
2- أشم نتانة في مقالك.
3- قضية الفساد متعفنة.
4- شخص نتن.
5- هذا اللقاء فيها روائح غريبة.
6- واقعنا عفن.

الاستعارة التصوريّة الأوليّة: "الصعوبات أثقال"

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: الصعوبة

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: الجهد الجسدي العضليّ

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة:حمل أشياء ثقيلة يعيق الحركة ويجهد الجهاز العضلي الجسدي، والصعوبات عوائق تولد ضعفا وانزعاجا،و تحول دون بلوغ الأهداف.

التعابير الاستعاريّة:

1- لقد أثقلتني مسؤولية الأبناء.
2- حملك ثقيل سيدي الرئيس وأنت تواجه المفسدين.
3- مسؤوليتك تجهدني.
4- ناء بكلكله من ثقل المهام التي تحملها.
5- تحمل المسؤولية رغم العوائق والمنزلقات.
6- مسؤولية تفوق قدرته على التحمل.

الاستعارة التصوريّة الأوليّة: "الأكثر فوق"

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: الكميّة

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: الاتجاه العموديّ

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة: ارتفاع مستويات الكمية والسوائل كلما أضفنا إليها، واستيفائها كلما انتقصنا منها، وكذلك تجاربنا الذاتيّة.

التعابير الاستعارية:

1- ارتفعت عائداتي في السنة الفارطة.
2- بلغ عدد الأنشطة الفنيّة في هذه البلاد ارتفاعا مهولا.
3- صعدت أرباحه هذه السنة.
4- إذا شعرتم بالبرد ارفعوا من قوة جهاز التدفئة.
5- أنت أوفر حظا من غيرك.

الاستعارة التصورية الأولية: "الأصناف والأنواع أوعيّة"

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: إدراك الأصناف والأنواع

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: الفضاء وعاء

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة:تقتضي المقولة تعالقا بين عناصر وأشياء تتلاءم ما بعضها، فتنزع إلى أن تكون في نفس الوعاء المقولي.

1- لم أحدّد كتاباتك هل هي من الشعر أم من النثر؟
2- هل الطماطم من فاكهة أو من الخضر؟
3- هل الدجاجة من الطيور؟
4- كتاب "الأيام" قصة أم رواية؟

الاستعارة التصوريّة الأوليّة: "الشبه قرب"

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: التشابه

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: المجاورة في الفضاء

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة: التشابه الأسري بين أشياء يجعلها متقاربة

التعابير الاستعارية:

1- هذه الألوان متقاربة.

2- ليست أختها لكنها تشبهها.

3- يبدو أن هذه الألوان قريبة من بعضها فتشابهت عليه.

4- لأنك قريب فيك شيء يشبهني.

الاستعارة التصورية الأوليّة: "الدرجات الخطيّة مسارات"

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: الدرجة

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: الحركة

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة: كلما تحركنا تقدمنا

التعابير الاستعاريّة:

1- أفكاره تفوق أفكار عصره.

2- يتغلب على أترابه بأفكاره الذكيّة.

3- ذكاء لايكوف يفوق ذكاء غيره من اللسانيين.

الاستعارة التصوريّة الأوليّة: "التنظيم بنية فيزيائيّة"

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: العلاقات الموحدة المجردة

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: تجربة الأشياء الفيزيائيّة

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة: التفاعل مع الأشياء المركبة والانكباب على بنيتها.

التعابير الاستعاريّة:

1- هذه النظرية بناء له أسس صلبة.
2- تنسجم أجزاء نظرية الاستعارة التصورية مع بعضها.
3- لهذه النظرية روافد متعددة.
4- هذه الوقائع قد تدعّم النظريّة.
5- ستصمد النظريّة أو تهوي بحسب قوة استدلالاتها

الاستعارة التصوريّة الأوليّة :"العون دعم"

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: المساعدة

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: الدعم الفيزيائي

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة: تحتاج الكيانات إلى دعائم لتثبت، ويحتاج الناس أمام صعوبات الحياة إلى دعم فيزيائي ليستمروا.

التعابير الاستعارية:

1- كان لها سندا في حياتها.
2- نقف مع المقاومة دعما وإسناد.
3- يحتاج إلى إحاطة نفسية تسنده وتدعمه.
4- الاهتمام أحسن دعم.
5- المرأة دعامة المجتمع.

الاستعارة التصوريّة الأوليّة: "الزمن حركة"

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: عبور الزمن

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: الحركة

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة: الشخص يتحرك، وينجز انتقالا من مكان إلى مكان، وكذلك الزمن يمر بنقاط انطلاق ووصول ومسار.

التعابير الاستعاريّة:

1- الزمن يمر بسرعة.
2- انقضت السنوات سريعا.
3- حصة الدرس مرت بسرعة.
4- تسارع الوقت.

الاستعارة التصوريّة الأوليّة: "الحالات أمكنة"

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: حالة ذاتيّة

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: الوجود في فضاء معين

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة: أن يكون مكانا معينا دالا على حالة نفسية

التعابير الاستعارية:

1- أحس باكتئاب.
2- دخلت في حالة نفسية صعبة.
3- خرجت من مكان الخطر.
4- سأصل إلى السعادة.
5- جانبت النجاح.
6- قريب من الحسن.

الاستعارة التصوريّة الأوليّة: "التغير حركة"

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: تجريب تغيّر في حالة.

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: التحرك

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة: التغيّر في الحالة يتماشى مع تغيّر في المكان كلما تحركنا.

التعابير الاستعارية:

1- ساءت أوضاعي المادية في هذه السنة.
2- سيارتي من عطب إلى عطب.
3- تنخفض مقالاتي هذه الأيام.
4- تغيرت عاداتي بمغادرتي لموطن ولادتي.
5- أرقام هاتفي من سيء إلى أسوء.
6- تبدلت أحواله.

الاستعارة التصورية الأوليّة:" الأعمال حركات تندفع ذاتيا"

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: العمل(النشاط)

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: تحريك الجسد عبر الفضاء

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة: الحركة في الفضاء

التعابير الاستعاريّة:

1- أسير بشكل جيد في البحث.
2- ترنح في طريقه.
3- خطواته ثابتة في مشروعه.

الاستعارة التصورية الأوليّة: الغايات وجهات

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: بلوغ الغاية

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: بلوغ وجهة

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة: للناس أهداف وغايات في حياتهم، وهذه الغايات والأهداف وجهات في طريق أو مسار يسلك.

التعابير الاستعاريّة:

1- لم يصل إلى ما يريد.
2- كابد حتى نال النجاح.
3- سلك طريقا يوصله إلى غايته.
4- مسار المهني ناجح.

الاستعارة التصورية الأوليّة: "الأسباب قوى فيزيائيّة"

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: الحصول على النتائج

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: جهد القوة

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة: الحصول على نتائج يكون بممارسة القوة الفيزيائية لتغيير الأشياء.

التعابير الاستعاريّة:

1- ضغطوا من أجل قتله.
2- حاولوا بكل قواهم اغتياله.
3- تآمروا عليه لمحاكمته.
4- اشتركوا في محاولة نفيه.

الاستعارة التصوريّة الأوليّة: "التحكم فوق"

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: وضعية تحكم ذاتي

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: الاتجاه العموديّ

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة: تساعد الجاذبية في التحكم في شخص أو شيء وممارسة قوة من فوق. فعندما يكون الشخص (فوق) يتحكم في ما هو تحته.

1- نحن نسيطر على الوضع.
2- أنّه في منصب يجعله متحكما في كل شيء.
3- يسوس رعيته بالعدل.
4- لم يتنازل على نفوذه.
5- هو في أعلى السلطة.
6- له نفوذ.

الاستعارة التصوريّة الأوليّة: " المعرفة رؤية"

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: المعرفة

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: الرؤية/الإبصار

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة: تحصل على المعارف بواسطة الجهاز البصريّ

1- لقد عنّت لي نفس الفكرة.
2- في نظري يبدو أنّ المسألة واضحة.
3- ما هي وجهة نظرك في الموضوع؟
4- إنّني أرى الأمر بشكل مختلف.
5- قدّم صورة واضحة عن المسألة.

6- إنّها رؤية جيّدة على الموضوع.

7- كانت أفكارهم مرآة.

الاستعارة التصوريّة الأوليّة: "الفهم إمساك"

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: الفهم

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: يتيح الجهاز الحسي الحركي معالجة الأشياء.

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة: معرفة شيء وفهمه هو إمساكه والقبض عليه ومعالجته.

التعابير الاستعاريّة:

1- فكرتك تحلق في السماء.

2- تمكنت من القبض على فكرتك.

3- تسبح أفكارك في الهواء.

4- فكرة مجردة يصعب الإمساك بها.

الاستعارة التصوريّة الأوليّة: "الرؤية لمس"

الميدان الهدف: الحكم الذاتي: الإدراك البصريّ

الميدان المصدر: التجربة الحسيّة الحركيّة: اللمس

الاقتضاء الاستعاري: التجربة الأوليّة: تعالق بين أن نلمس شيئا، وأن نبصره.

التعابير الاستعاريّة:

1- لمست شحوبا على وجهك.

2- كأنّ بجسدك حرارة.

3- عاينت بردا في يديك.
4- أبصرت فتورا في قواك
5- رأيت فرحا في عينيك.
6- عاينت اضطرابا.
7- أشاهد ما تخفيه في عينيك.

التأمل في الأمثلة التالية عن الاستعارات الأوليّة يقودنا إلى إبداء الملاحظات التالية:

- الاستعارات التصوريّة الأولية آلية تتيح لنا أن نستعمل التجربة الحسية الحركية للإمساك والقبض على تجربة ذهنية، فنفكر ونفهم الثاني ألفاظ الأول، وهي منتشرة في الفكر واللغة.
- الاستعارات التصوريّة الأوليّة أوائل استعاريّة تحدث نتيجة مزج تصوريّ وضعي بين أجزاء استعاريّ، إنها حصيلة نسخ استعاري أوليّ بين تجربة ذاتية وتجربة حسية حركية، وهو نسخ محكوم بمقتضيات فيزيائيّة ثقافيّة.
- للاستعارات التصوريّة الأوليّة اقتضاءات استعاريّة ذريّة محتملة، واقتضاءات استعارية متحققة في دلالة الكلام اليومي العادي. وبما أن هذا الصنف من الأوائل الاستعاريّة التي يحيا بها الانشان، فإنّ التعابير اللغوية ليست هي التحقق الوحيد للاستعارات الأولية بل نجد الإيماءات والإشارات، والفن، والطقوس.
- تخضع كل الاستعارات الأوليّة إلى آلية النسخ الاستعاريّ، وهو نسخ ساذج، طفوليّ، غير معقد، ينشا من اشتغالنا الجسدي في العالم ، ومن جهازنا الحركي الحسيّ أولا، ومن تجربة ذاتية أو حكم ثانيّا. ولئن يتيح لنا هذا النسخ

استعارات ذات بنية استنتاجية ثرية دلاليّا، فإنّه يكشف عديد الاقتضاءات التي تتعلق بنشوء الفهوم الاستعاريّة، ومن هذه الاقتضاءات أننا نعتقد أنّ الاستعارات الأوليّة مرآة عاكسة لتصوراتنا البدائيّة لتجاربنا وأنشطتنا في محيطنا الفيزيائي البسيط، وفي تعاملنا مع عالمنا تعاملا واضحا، بديهيا، لا يشوبه تعقيد في أبعاده الثقافية والاجتماعية والاقتصاديّة.

- تتيح الاستعارات الأولية أن نستعمل التجارب الحسيّة الحركيّة لتسمية مظاهر من تجاربنا الذاتية. وهي منتشرة في حياتنا، وفي تجاربنا وأنشطتنا، لأنّنا وجود مجسدن، و"لنا هذه الأدمغة التي لنا ، وهذه الأجساد التي لنا، ولأنّنا نعيش في هذا العالم الذي نعيش فيه، حيث تنزع الحميمية" لتعانق القرب الجسدي" وحيث تعالق العاطفة الدفء، ويعالق بلوغ الأهداف والغايات الوصول إلى الوجهات"[5].

- الاستعارات التصوريّة الأوليّة حتمية إنسانية فنحن نمتلك كما هائلا منها لأنّنا وجود مجسدن يتحرك باستمرار في اتجاهات مختلفة ولغايات متنوعة، وفي هذا النشاط والعمل في العالم نكتسب تجربة منشطة وذات بنية استنتاجية نتيجة تنشيط تجاربنا الذاتية وأحكامنا الذاتية بواسطة تجارب حسية حركية، فالاستعارات الأوليّة" نسخ استعاريّ مباشر"ساذج، ولاواع عابر لمجالين؛ مجال المصدر هو التجربة الحسية الحركيّة، ومجال الهدف: التجربة الذاتية، تتولد عنه استنتاجات بخصوص المعنى، غاية الاستعارة التصوريّة.

- الاستعارات التصوريّة جزء من اللاوعي المعرفيّ، فهي تكتسب آليا، قد نعيها وقد لا نعيها لكنها حتميّة في حياتنا، منتشرة في أنساقنا التواصلية اللغوية وغير اللغويّة. تكون نسقنا الاستعاري التصوريّ تزودنا ببنى استنتاجية ليست ناتجة عن

تأويل واع ومعقد، وتتولد عنها معان بسيطة لكن ليست حرفية وإنما هي تحمل بذور التأويل.

خاتمة:

اهتممنا في هذا المقال بدراسة الاستعارات التصوريّة الأوليّة أو الذرات الاستعاريّة من منطلق عرفاني يدحض فكرة كون الاستعارة ظاهرة لغويّة خاصة باللفظ، وكونها قائمة على المشابهة، وباعتبارها منحصرة في نصوص شعريّة، ويحتكرها أدباء وشعراء، ويقر بكونها ظاهرة تصوريّة ساكنة في الفكر منتشرة في كلامنا اليومي، يستخدمها العالم والعامي، والحضري، والبدوي، تكون بسيطة أوليّة ساذجة لا واعيّة.ويقوم هذا الصنف من الاستعارات على آليات النسخ الاستعاريّ الساذج الآلي، اللاوعي، وينتج عنه بنى استنتاجية تخص المعنى، تكون محكومة باقتضاءات استعارية، وتتجسد في تعابير لغويّة وغير لغويّة. ويمثل مكوّنا ذريّا للاستعارات التصورية المعقدة.

المصادروالمراجع:

01- لايكوف(جورج) وجونسون(مارك)؛ (2003) : "الاستعارات التي نحيا بها"، ترجمة عبد المجيد الجحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب.

02- لايكوف(جورج) وجونسون(مارك)؛ (2016) :"الفلسفة في الجسد" الذهن المتجسّد وتحديه للفكر الغربي ، ت، عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة.

03-الزناد(الأزهر)؛ (2010)؛ "نظريات لسانيّة عرفانيّة"، دار محمد علي للنشر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى.

04- Lakoff(G) and Johnson(M) ; (1980) ; « Metaphorswe live by » ,licensed by the University of Chicago Press, Chicago, Illinois, U.S.A , by The University of Chicago Afterwod.
05- Lakoff(G) and Johnson(M) ; (1999) ;« Philosophy in the flesh », New York: Basic Books.

الهوامش:

(01) الزناد الأزهر: "نظريات لسانيّة عرفانيّة"، دار محمد علي للنشر، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط 1، **2010. 147.**

(02) لايكوف(جورج) وجونسون(مارك):"الفلسفة في الجسد" ، تر: عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2015، 105.

(03) لايكوف(جورج) وجونسون(مارك)؛ (2018) : "الاستعارات التي نحيا بها"، تر: عبد المجيد الجحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء،ص 94.

(04) المرجع السابق: ص 106.

(05) لايكوف(جورج) وجونسون(مارك)؛ (2018) : "الاستعارات التي نحيا بها"، ص 93.

ISSN : 2992-0566
Eissn :

مؤانسات
في اللغة والأدب والنقد

مجلة دولية فصلية محكمة

تصدر عن كليـــة الآداب واللغـــات
جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي

العدد 01
جوان 2023